

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين

(دراسة حديثة)

للدكتورة عزية علي طه^(١)

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ، وبعد :

فقد عمت البلوى في هذا الزمان بكثرة الفرق الضالة وانتشارها في مختلف أرجاء العالم الإسلامي إلا من رحم الله حيث عمد أصحاب هذه الفرق الضالة على تكوين الجمعيات والمؤسسات التي تتبنى أفكارهم وتقوم على رعايتها والتمكين لها ، فاستغلوا في ذلك أجهزة الإعلام الجماهيرية للترويج لأفكارهم، زاعمين أنهم يرون الرسول ﷺ في اليقظة والنمام وأنهم يتلقون عنه بعض التشريعات والتبريكات والأوراد والتوجيهات التي يقومون بتضمينها في الدين زوراً وبهتاناً ، مع إلزام أتباعهم ومريديهم بممارستها والتقيد بها . وهم يستندون في تبرير

(١) الأستاذ المشارك في الحديث وعلومه بكلية التربية للبنات بأبها، جامعة الملك خالد.

بدعهم هذه على حديث صحيح أخرجه البخاري بسنده من حديث أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : (من رأى في المنام فقد رأى فإن الشيطان لا يتمثل بي)^(١) .

وجاء في بعض طرق هذا الحديث (فسيراني في اليقظة)^(٢) .
وعلى الرغم من أن هذا الحديث قد ثبتت صحته عن النبي ﷺ حيث ورد في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة ، إلا أن هؤلاء المبتدعة قد أخطؤوا في فهمه وحملوا النص ما لا يحتمل وجعلوا من ذلك مدخلاً لاختلاق البدع والضلالات والتحريف في دين الله ، نأخذ مثلاً على ذلك ، بعض الفرق الضالة من أهل التصوف ، ممن يسمون بأصحاب الطريقة التيجانية ، الذين يستندون في تبرير بدعهم على المنامات والأحاديث والقصص التي ينسبونها إلى رسول الله ﷺ زوراً وبهتاناً ، مستغلين في ذلك غفلة وجهل كثير من المسلمين بحقيقة دينهم ، فانجرف بعض العوام وأشباه العوام خلف هؤلاء المتصوفة وصاروا يقتدون بهم أحياناً ويتبركون بهم أمواتاً طالبين منهم بعض المطالب التي لا يمكن أن تتحقق على أيدي البشر ، بل هي أشياء اختص بها الله سبحانه وتعالى .

(١) أخرجه البخاري في كتاب التعبير ، باب من رأى النبي ﷺ في المنام برقم (٦٩٩٤) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التعبير ، باب من رأى النبي ﷺ في المنام برقم (٦٩٩٣) .

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزيزة علي طه

كما اعتمد هؤلاء المتصوفة الرؤى والأحلام والهواتف كمصادر للتشريع، فصار شيوخهم وزعماءهم يشرعون، معتمدين على ما يسمونه بالمكاشفات ومعرفة الأمور الغيبية والخفية، عن طريق تدرجهم فيما أسموه بالمقامات حتى الوصول إلى مراتب عليا، فوق مراتب البشر، وزعموا أن التيجاني هو خاتم الأولياء كما أن النبي ﷺ هو خاتم الأنبياء، وبالغوا في الوعد لمن يتبنى طريقتهم، كما بالغوا في الوعيد لمن خالفهم، ووضعوا أورادا وأذكاراً ليترنم بها العامة ويتراقصوا على أنغامها.

ومما لا شك فيه أن الاستناد على الرؤى والأحلام والهواتف كان شائعاً في الأمم السابقة للإسلام، وعند أصحاب الديانات السماوية كاليهودية والنصرانية، وأن تصديق النصارى بما يرد في الرؤى والأحلام، ومعاملتها معاملة الواقع والعمل بما جاء فيها أدى إلى إدخال قدر كبير من الخرافات والدجل والشعوذة في تلك الديانة؛ لأنه لا يوجد لديهم ضابط أو مرجعية من الدين لبيان الصواب من الخطأ؛ لهذا تفرقوا شيعاً وأحزاباً، وأصبح من السهل على كل زعيم طائفة أو كاهن من كهنتهم أن يدعي أنه قد رأى المسيح - عليه السلام - يقظة أو مناماً، وأنه قد تلقى عنه بعض التعاليم والتوجيهات التي يضمنها في عقائد وعبادات طائفته، ثم يأمر أتباعه باتباعها، فتتج عن ذلك كثير من صور التضارب

والخلافات والمنازعات بين فرقهم المتصارعة، بسبب الأباطيل التي تسربت إلى ديانتهم حتى طمست معالم التوحيد فصارت ديانتهم أقرب ما تكون للديانات الوثنية التي ما أنزل الله بها من سلطان .

فإذا استمر أصحاب البدع والأهواء من الصوفية وغيرهم في غيهم وضلالهم وافتراءاتهم على رسول الله ﷺ وإدخالهم البدع في الدين مستنديين في ذلك على الرؤى والأحلام والهواتف والمكاشفات المزعومة، دون رقيب أو حسيب أو رادع من الدعاة وجهابذة العلماء ، فإن ذلك قد يؤدي إلى تحريف دين الله وطمس معالم التوحيد في بعض المجتمعات الإسلامية التي ابتليت بمثل هذه الفرق الضالة كما حدث ذلك عند أصحاب الديانات السماوية السابقة .

فما معنى كل من الرؤيا والحلم ، وما الفرق بينهما كما ورد في الحديث الشريف؟ وما هي النتائج التي ترتبت على ادعاء التلقي عن المسيح -عليه السلام- في الرؤى والأحلام؟ وما هي الأحاديث الصحيحة التي تدل على وجوب الالتزام بالسنة وعدم الابتداع في الدين؟ وهل الرؤى والأحلام تعد من مصادر التشريع في الإسلام؟ وإذا لم تكن الرؤى والأحلام من مصادر التشريع في الإسلام فما هي المصادر الحقيقية للتشريع في الإسلام؟ وهل توجد هناك مقامات ومكاشفات

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د.عزىة علي طه

لمشاىخ الطريقة التيجانية؟ أم أن ذلك من تلبىس إبلىس علىهم؟ وهل هناك أثر من السنة النبوية الشرىفة ىدل على أن هناك خاتماً للأولىاء كما أن النبى ﷺ هو خاتم الأنبياء؟ وما هى الضوابط والشروط التى اصطلح عىلها المحدثون لجمع الأحادىث النبوية الشرىفة وتوثىقها متناً وسنداً وتصنىفها من درجة الحدىث الصحىح إلى درجة الحدىث الموضوع المكذوب على رسول الله ﷺ؟ وإلى أى مدى تنطبق تلك الشروط والضوابط التى أصللها علماء المصطلح من حىث شروط صحة الحدىث على أقوال الصوفىة ومعتقداتهم وأفكارهم وممارساتهم؟ وما مدى انطباق ضوابط التعدىل أو الجرح على مشاىخهم؟ وهل تصمد ادعاءاتهم الصوفىة أمام منهجىة المحدثىن فى توثىق السنة متناً وسنداً؟ للإجابة على هذه التساؤلات وغيرها سوف أتناول هذا الموضوع -إن شاء الله- ضمن المباحث التالىة :

المبحث الأول : معنى كل من الرؤى والحلم والفرق بىنهما كما ورد فى الحدىث الشرىف .

المبحث الثانى : ادعاء النصارى التلقى عن المسيح عىله السلام فى الرؤى والأحلام وما ترتب على ذلك من تحرىف فى النصرانىة .

المبحث الثالث : تحذىر النبى ﷺ من الابتداع فى الدىن والحض على

لزوم السنة .

المبحث الرابع : ادعاء مشايخ الصوفية التلقي عن النبي ﷺ في الرؤى والأحلام وما ترتب على ذلك من التحريف في الدين ، ويشمل :

أولاً : مصادر التشريع في الإسلام .

ثانياً : مصادر التلقي عند الصوفية .

ثالثاً : مدى صمود مصادر التلقي عند الصوفية أمام منهجية علماء المصطلح في توثيق السنة .

رابعاً : الخاتمة .

خامساً : قائمة بمراجع البحث .

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه

المبحث الأول : معنى كل من الرؤيا والحلم والفرق بينهما كما ورد

في الحديث الشريف :

الرؤيا في اللغة^(١) ما رأيته في منامك ... وحكي ريا : وهذا على الإدغام بعد التخفيف البدلي ، شبهوا واو رؤيا التي هي في الأصل همزة مخففة بالواو الأصلية غير المقدّر فيها الهمزة ... وكذلك حكى أيضاً ريا بكسر الراء ... ورأيت رؤى حسنة : حلمتها ، وأرأى الرجل إذا كثرت رؤاه بوزن رُعاه : أي أحلامه جمع الرؤيا ، ورأى في منامه رؤيا على فعلى بلا تنوين ، وجمع الرؤيا رؤى بالتنوين ... والرئي الجني يراه الإنسان ، ويتعرض للرجل يريه كهانة وطبّا . يقال : مع فلان رأيي ... سمي به لأنه يتراءى لمتبوعه أو هو من الرأي ، من قولهم فلان رأيي قومه إذا كان صاحب رأيهم ... اهـ .

وجاء في فتح الباري : « الرؤيا في اللغة هي ما يراه الشخص في منامه وهي بوزن فُعلَى وقد تسهل الهمزة . قال الواحدي : هي في الأصل مصدر كاليسرى فلما جعلت اسما لما يتخيله النائم أجريت مجرى الأسماء . قال الراغب : والرؤية إدراك المرء بحاسة البصر ، وتطلق على ما يدرك بالتخيل نحو : أرى أن زيدا مسافر وعلى التفكير النظري نحو ﴿ إِنِّي أَرَى مَا

(١) لسان العرب ١/ ١٠٩ .

لَا تَرَوْنَ ﴿١﴾ وعلى الرأي وهو اعتقاد أحد النقيضين على غلبة الظن ﴿٢﴾ .
وقال القرطبي ^(٣) في المفهم : قال بعض العلماء قد تجيء الرؤيا بمعنى
الرؤية كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ ^(٤)
فزعمو أن المراد بها : ما رآه النبي ﷺ في ليلة الإسراء من العجائب،
وكان الإسراء جميعه في اليقظة ... قال ابن عباس : إنها رؤيا عين .

وقال القاضي أبو بكر بن العربي : الرؤيا إدراكات علقها الله تعالى في
قلب العبد على يدي ملك أو شيطان ... وقال المازري : كثر كلام الناس
في حقيقة الرؤيا ، وقال فيها غير الإسلاميين أقاويل كثيرة منكرة ؛ لأنهم
حاولوا الوقوف على حقائق لا تدرك بالعقل ولا يقوم عليها برهان ، وهم
لا يصدقون بالسمع فاضطربت أقوالهم فمن ينتمي إلى الطب ينسب
جميع الرؤى إلى الأخلاط ... ومن ينتمي إلى الفلسفة يقول : «إن صور
ما يجري في الأرض هي في العالم العلوي كالنقوش ، فما حاذى بعض
النقوش منها انتقش فيها» وهذا أشد فساداً من الأول ، لكونه قولاً لا
برهان عليه ... قال القرطبي : سبب تخليط غير الشرعيين ، إعراضهم

(١) سورة الأنفال : ٤٨ .

(٢) فتح الباري ١٦ / ٢ ، ٣

(٣) فتح الباري ١٦ / ٤

(٤) سورة الإسراء : ٦٠

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه
عما جاء به الأنبياء من الطريق المستقيم ... اهـ .

الحلم في اللغة ^(١) : والجمع أحلام يقال : حلم يحلم إذا رأى في المنام ... حلم في نومه يحلم حلمًا ... وتحلم الحلم استعمله ، وحلم به وتحلم عنه : رأى له رؤيا أو رآه في النوم ... يقال حَلَمَ بالفتح إذا رأى أو تحلم إذا ادعى الرؤيا كاذبًا ... والرؤيا والحلم عبارة عما يراه النائم في نومه من الأشياء ، لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن ، وغلب الحلم على ما يراه من الشر والقبيح ومنه قوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَضُفَّتْ أَحْلَمٌ ﴾ ^(٢) ويستعمل كل منهما موضع الآخر وتضم لام الحلم وتسكن .

الفرق بين الرؤيا والحلم كما ورد في الحديث الشريف :

يتضح لنا الفرق بين الرؤيا والحلم من الأحاديث التالية :

أخرج الإمام البخاري بسنده، من حديث أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الرؤيا الصادقة من الله والحلم من الشيطان) ^(٣) ومن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا رأى أحدكم رؤيا

(١) فتح الباري ٢٢ / ١٦ .

(٢) سورة يوسف : ٤٤ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، باب الحلم من الشيطان برقم (٧٠٠٥) .

يحبها فإنما هي من الله ، فليحمد الله عليها وليحدث بها . وإذا رأى غير ذلك مما يكره فإنما هي من الشيطان ، فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره»^(١).

ولقد أخرج الحديث السابق الإمام مسلم من حديث أبي سلمة رضي الله عنه قال : كنت أرى الرؤيا أعزى^(٢) منها غير أني لا أزمّل^(٣) حتى لقيت أبا قتادة ، فذكرت ذلك له فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان ، فإذا حلم أحدكم حلمًا يكرهه فلينفث عن يساره ثلاثًا ، وليتعوذ بالله من شرها ، فإنها لن تضره»^(٤). وفي بعض طرق الحديث عند مسلم زيادة في آخر الحديث وهي : «.... لا تضره ، ولا يخبر بها أحدًا فإن رأى رؤيا حسنة فليبشر ، ولا يخبر إلا من يحب»^(٥).

(١) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، باب الحلم من الشيطان برقم (٦٦٠٣).

(٢) أعزى بضم الهمزة وإسكان العين وفتح الراء : أي أجم . قال أهل اللغة يقال عري الرجل بضم العين وتخفيف الراء إذا أصابه عراء وهو نفص الحمى وقيل رعدة، المنهاج في شرح صحيح مسلم : ١٤٠٥ .

(٣) أما قوله : أزمّل فمعناه أغطى وألف كالمحموم ، المنهاج في شرح صحيح مسلم : ١٤٠٥ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الرؤيا برقم ٢٢٦١ .

(٥) المصدر السابق .

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه

أما في الرؤيا السيئة فقد وردت أيضاً زيادة عند الإمام مسلم وهي: «وليتحول عن جنبه الذي كان عليه»^(١) كما ورد في بعض طرق الحديث زيادة أخرى وهي: «وليتعوذ بالله من شر الشيطان وشرها ولا يحدث بها أحداً»^(٢).

قال ابن حجر: «الرؤيا من الله مطلقاً وإن قيدت في الحديث بالصالحة، فهو بالنسبة إلى ما لا دخول للشيطان فيه، وأما ما له فيه دخل فتنسب إليه نسبة مجازية مع أن الكل بالنسبة إلى الخلق والتقدير من قبل الله، وإضافة الرؤيا الحسنة إلى الله للتشريف... وظاهر قوله: الرؤيا من الله والحلم من الشيطان. أن التي تضاف إلى الله لا يقال لها حلم، والتي تضاف للشيطان لا يقال لها رؤيا، وهو تصرف شرعي وإلا فالكل يسمى رؤيا. وقد جاء في حديث آخر: الرؤيا ثلاث فأطلق على كل رؤيا»^(٣).

وحديث: «الرؤيا ثلاث» أخرجه مسلم بسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا المسلم تكذب

(١) أخرجه مسلم في كتاب الرؤيا برقم ٢٢٦٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الرؤيا برقم ٢٢٦١.

(٣) فتح الباري ٢٢/١٦

وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً ، ورؤيا المسلم جزء من خمس وأربعين جزءاً من النبوة والرؤيا ثلاثة : فرؤيا الصالحة بشرى من الله ، ورؤيا تحزين من الشيطان ، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه ، فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ، ولا يحدث بها الناس» ^(١).

أما الرؤيا التي من الشيطان فقد ورد فيها حديث صحيح أخرجه الإمام مسلم بسنده من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله رأيت في المنام كأن رأسي ضرب فتدحرج فاشتدت على أثره ، فقال رسول الله ﷺ للأعرابي : «لا تحدث الناس بتلعب الشيطان بك في منامك» ^(٢)، وقال أي جابر رضي الله عنه : سمعت النبي ﷺ بعد يخطب فقال : «لا يحدثن أحدكم بتلعب الشيطان به في منامه» ^(٣). ومن كذب في حلمه يعذب يوم القيامة ، وقد ورد ذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن

(١) أخرجه مسلم في كتاب الرؤيا برقم ٢٢٦٣.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الرؤيا باب لا يخبر بتلعب الشيطان به في المنام برقم ٢٢٦٨.

(٣) المصدر السابق.

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه
يفعل....»^(١) وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه : « من كذب في رؤياه »^(٢) وأخرج
البخاري أيضاً بسنده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال
رسول الله ﷺ : « إن من أفرى الفرى أن يُرى عينيه ما لم تر »^(٣) .

جاء في شرح الأحاديث السابقة عند ابن حجر ما يلي^(٤) :
المراد بالتكليف نوع من التعذيب ... إنما سماه حلمًا ولم يسمه
رؤيًا؛ لأنه ادعى أنه رأى ولم ير شيئًا فكان كاذبًا ، والكذب إنما هو
من الشيطان ، وقد قال : إن الحلم من الشيطان كما جاء في حديث أبي
قتادة، وما كان من الشيطان فهو غير حق، فصدق بعض الحديث بعضًا،
وقوله : (أفرى الفرى) : أفرى أفعل تفضيل : أي أعظم الكذبات، والفرى
بكسر الفاء والقصر جمع فرية . قال ابن بطال : الفرية الكذبة العظيمة
التي يتعجب منها . وقال الطيبي : فأرى الرجل عينيه : وصفهما بما
ليس فيهما . ونسبة الكذبات إلى الكذب للمبالغة نحو قولهم ليل أليل
... ومعنى نسبة الرؤيا إلى عينيه مع أنهما لم يريا شيئًا أنه أخبر عنهما

(١) أخرجه البخاري في كتاب التعبير ، باب من كذب في حلمه برقم ٦٦٣٥ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

(٤) فتح الباري ١٦ / ٨٩ ، ٨٨ .

بالرؤية وهو كاذب ... اهـ .

يتبين لنا مما سبق أن هناك فرقاً بين الرؤى والأحلام حسب ما ورد في الأحاديث الصحيحة وكما جاء ذلك في حديث أبي قتادة : (الرؤيا الصادقة من الله والحلم من الشيطان) .

ولقد أكد لنا ذلك الحكيم الترمذي عند شرحه للأحاديث السابقة والتي استشهد لشرحها ببعض الآيات حيث يقول :

قال تعالى : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب)^(١) أي في المنام . ورؤيا الأنبياء وحي بخلاف غيرهم ، فالوحي لا يدخله خلل ، لأنه محروس بخلاف رؤيا غير الأنبياء فإنها قد يحضرها الشيطان .. وكّل الله بالرؤيا ملكاً اطلع على أحوال بني آدم من اللوح المحفوظ ... فإذا نام مثل له تلك الأشياء على طريق الحكمة لتكون له بشرى أو نذارة أو معاتبة ، والأدمي قد يتسلط عليه الشيطان لشدة العداوة بينهما فهو يكيده بكل وجه يريد إفساد أموره بكل طريق فيلبس عليه رؤياه ، إما بتخليطه فيها وإما بغفلته عنها . ثم إن جميع المرائي تنحصر على قسمين الرؤيا الصادقة وهي رؤيا الأنبياء ومن تبعهم من

(١) سورة الشورى : ٥١ .

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزبة علي طه
الصالحين، وقد تقع لغيرهم نادراً وهي التي تقع في اليقظة على وفق ما
وقعت في النوم . والأضغاث وهي لا تنذر بشيء وهي أنواع :
الأول : تلاعب الشيطان ليحزن الرائي كأن يرى أنه في هول ولا يجد
من ينقذه ونحو ذلك .

الثاني : أن يرى أن بعض الملائكة تأمره بأن يفعل المحرمات مثلاً
ونحوه من المحال عقلاً .

الثالث : أن يرى ما تحدث نفسه به في اليقظة ... اهـ .

أما رؤيا الأنبياء أو ما يراه النبي في المنام فهو من الوحي ؛ لذلك فهي
معصومة من الشيطان، وهذا باتفاق الأمة ؛ ولهذا هم إبراهيم الخليل
على تنفيذ أمر الله في المنام بذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام قال تعالى :
﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ قَالَ
يَتَأَبَّتْ أَعْمَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٤﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾
وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَأَبَّرْهِمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴿١﴾ .

وكذلك رؤيا يوسف عليه السلام قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ
يَتَأَبَّتْ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ ﴿٤﴾ ﴿٢﴾ .

(١) سورة الصافات : ١٠٥

(٢) سورة يوسف : ٤

وقال تعالى : ﴿يَأْتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَى مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾^(١)
وكذلك رؤيا النبي ﷺ قال تعالى : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ
لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ
فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(٢).

من رأى النبي ﷺ في المنام :

وردت أحاديث صحيحة كثيرة تبين أن المسلم الصالح قد يرى النبي ﷺ في المنام ، كالحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه قال : سمعت النبي ﷺ يقول : (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ،
ولا يتمثل الشيطان بي)^(٣) .. قال ابن سيرين إذا رآه في صورته .

وجاء في بعض طرق الحديث زيادة : (أو فكأنما رآني في اليقظة) قال
ابن حجر معلقاً على كلام ابن سيرين : (كان - يعني محمد بن سيرين
- إذا قص عليه رجل أنه رأى النبي ﷺ قال : صف لي الذي رأيته ،
فإن وصف له صفة لا يعرفها قال : لم تره ... ووجدت ما يؤيده فأخرج
الحاكم من طريق عاصم بن كليب حدثني أبي قال : قلت لابن عباس :

(١) سورة يوسف : ٤

(٢) سورة الفتح : ٢٧

(٣) فتح الباري ٣٨/١٦

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه

رأيت النبي ﷺ في المنام قال : صفه لي ، قال : ذكرت الحسن بن علي فشبهته به قال : قد رأيته ... وقوله فسيراني معناه : فسيراني في القيامة .

وذكر ابن حجر عن ابن أبي جمرة أنه نقل عن جماعة من المتصوفة أنهم رأوا النبي ﷺ في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدهم إلى طريق تفريجها فجاء الأمر كذلك . قال ابن حجر معلقاً : وهذا مشكل جداً ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة ... ويعكر عليه أن جمعاً جمّاً رأوه في المنام ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة ، خبر الصادق لا يتخلف ... أهـ .

وقال أبو العباس القرطبي ردّاً على من قال برؤية النبي ﷺ في اليقظة : وهذا يدرك فساده بأوائل العقول ويلزم عليه ألا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها وألا يراه رائيان في آن واحد في مكانين ، وأن يحيى الآن ويخرج من قبره ويمشي في الأسواق ويخاطب الناس ويخاطبوه ، ويلزم من ذلك أن يخلو قبره من جسده ولا يبقى في قبره منه شيء ، فيزار مجرد القبر ويسلم على غائب ؛ لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره ... أهـ .

وحكي عن القاضي قوله : خص الله نبيه بعموم رؤياه كلها ، ومنع

الشيطان أن يتصور في صورته لئلا يتذرع بالكذب على لسانه في النوم، ولما خرق الله العادة للأنبياء للدلالة على صحة حالهم في اليقظة واستحال تصور الشيطان على صورته في اليقظة ... إذ لو كان ذلك لدخل اللبس بين الحق والباطل ولم يوثق بما جاء من جهة النبوة، حمى الله حماها لذلك من الشيطان وتصوره وإلقائه وكيده ... اهـ .

لقد تأكد لنا مما سبق أنه لا يصح القول بأن كل من حدث عن غيب يكون خبره جزءاً من أجزاء النبوة كالكاهن والمنجم والكافر والفاسق والمخلط وغيرهم، وأن المسلم الصادق هو الذي يكرمه الله بالرؤيا الصادقة، كما أخبر أن البخاري ترجم لأحاديث (الرؤيا جزء من النبوة) بباب: (رؤيا الصالحين) ولا ينبغي لأحد أن يتخذ الرؤى والأحلام ذريعة للابتداع في الدين؛ لأنه ﷺ حذر من الكذب في الرؤيا، ومن تعبیر الأحلام، ومن أن يري الإنسان عينيه ما لم تريا ولكن -ويا للأسف الشديد!- على الرغم من تحذيرات النبي ﷺ عن الكذب عليه وعن إدخال البدع في الدين لم يتورع بعض أصحاب الفرق الضالة من المتصوفة^(١) وغيرهم من محاولة إدخال كثير من المفاهيم المغلوطة

(١) فيما يتعلق بهذا الموضوع يمكن الرجوع إلى فتاوى فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه

في أمور الدين كالعقائد والأحكام والعبادات وأمور الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والتنبؤات التي ما أنزل الله بها من سلطان، ومن تقديس للقبور والأضرحة، تحت الزعم بأن أصحابها قد وصلوا إلى درجات قد تفوق درجات الأنبياء، وقد بالغوا في مدح شيوخ الطرق الصوفية وإطرائهم حتى أوصل هذا بعضهم إلى درجة الشرك والعياذ بالله، ناسين أن النبي ﷺ نهى أن نتخذ القبور أعياداً حتى وإن كان المقصود هو قبره ﷺ، حيث أخرج الإمام أحمد بن حنبل أن النبي ﷺ قال: (لا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني)^(١)، كما وجهنا وأمرنا ﷺ بأن نتمسك بالكتاب والسنة كي لا نضل بعده وذلك في قوله ﷺ: (تركت فيكم اثنين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي)^(٢) .

المبحث الثاني: ادعاء النصارى التلقي عن المسيح عليه السلام في الرؤى والأحلام وما ترتب على ذلك من تحريف في النصرانية :

إن المسيحية الحقيقية معروفة لدى المسلمين من كتاب الله وسنة

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢ / ٣٦٧ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٢ / ١١٦١ قال المحقق: حديث صحيح وقد بحثه شيخنا

الألباني في الصحيحة (١٧٦١) فانظره.

رسوله ﷺ، أما المسيحية التي يعتنقها النصارى اليوم فقد تطرق إليها كثير من التحريف والتشويه والتبديل كما يعترف بذلك علماء اللاهوت^(١) في الغرب، ونحن المسلمين نعلم أن عقيدة المسيح عليه السلام هي التوحيد الخالص لله عز وجل، وأن عيسى عليه السلام لم يأمر أحداً بأن يشرك بالله شيئاً، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُخِيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٧٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧٧﴾﴾ (٢).

ولقد أنزل الله سبحانه وتعالى على عيسى عليه السلام الإنجيل وأمر النصارى أن يحكموا بما ورد فيه وأن يتمسكوا به قال تعالى: ﴿وَلِيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ

(١) فيما يختص بهذا الموضوع يمكن الرجوع إلى :

1- Early Christian Doctorines, J.N.Dkelly, Revised Edition Published by Harper and Rou Publisher, New York 1978 pp 30-34 .

(٢) سورة المائدة، الآيتان : ١١٦، ١١٧ .

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزيزة علي طه
هُمُ الْفَنَسِقُونَ ﴿٤٧﴾ (١).

وأيد الله عيسى عليه السلام بالمعجزات الحسية كالكلام في المهد وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَذْكَرَ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدِكَ إِذْ أُيِّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيَ إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنَّا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ (٢).

وعلى الرغم من ذلك فقد حرف الكهنة الإنجيل وانحرفوا عنه. ويعزو الشيخ محمد أبو زهرة انحراف النصارى عن الحق إلى الظروف السيئة التي مرت بالنصارى في فترة تدوين الإنجيل وملحقاته من أسفار ورؤى حيث جعلوا من إنجيل المسيح عليه السلام عدة أناجيل اعتمدوا منها أربعة أناجيل (٣) فقط. كما أن أسانيد الأناجيل المعتمدة لديهم منقطعة

(١) سورة المائدة، الآية : ٤٧ .

(٢) سورة المائدة، الآية : ١١٠ .

(٣) يطلق النصارى اسم الإنجيل على أربعة كتب ، وهم ينسبونها لأربعة من المؤلفين،

منذ عصر من يزعمون بأنهم حواريون أو رسل للمسيح عليه السلام وحتى مجمع نيقية^(١) عام ٣٢٥م، حيث تم اعتماد الأناجيل الأربعة على الرغم من تناقض محتوياتها وتصحيف متونها وإدراج ما ليس من أقوال المسيح عليه السلام في أقواله، مما أدى إلى تضارب واضطراب متون الأناجيل في ذاتها واختلافها فيما بينها. يقول الشيخ أبو زهرة: «اتفقت المصادر شرقية وغربية دينية وغير دينية على أن المسيحيين نزلت بهم بعد المسيح بلأيا وكوارث جعلتهم يستخفون بديانته ويفرون بها أحياناً، ويصمدون للمضطهدين، مستشهدين أحياناً أخرى، وهم

زاعمين أنهم كانوا من حواربي عيسى عليه السلام وهم: مرقس، متى، لوقا، يوحنا. ويضم النصارى أيضاً إلى هذه الأناجيل بعض الرسائل والأحداث التي يعتبرونها مهمة لديهم ويطلقون على الأناجيل وملحقاتها من رسائل: (أسفار العهد الجديد) وهم يزعمون أن كلمة إنجيل تعني باللغة العبرية والسامية القديمة: الأخبار السارة أو البشرى السارة... فيما يتعلق به الموضوع يمكن الرجوع إلى: The New Caxon Encyclopedia p. ٢٧٧٧.

(١) هو من أهم المجامع المسيحية وهو الذي تم فيه تأليه المسيح وتكفير كل من يعتقد بأن المسيح إنسان وقد تم فيه تكفير آريوس زعيم الموحدين الذي كان لا يؤمن بألوهية المسيح وأحرقت فيه جميع الأناجيل التي لا تقول بألوهية المسيح وحرم تداولها واعتمدت فيه رسمياً الأناجيل الأربعة وملحقاتها. انظر كتاب النصرانية والإسلام: ٣٢، ٣٣.

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د.عزبة علي طه
في كلتا الحالتين لا شوكة لهم ولا قوة تجمعهم وتحمي ديانتهم وكتبهم،
وأنة وسط هذه الاضطهادات يذكرون أنه دونت أناجيلهم الأربعة التي
يؤمنون بها ، ودونت رسائلهم ^(١) .

لكن هذا الاضطهاد الديني حتى وإن كان وقع حقيقة على النصارى
ينبغي ألا يكون مبرراً لتحريف النصرانية عن طريق تسجيل أقوال المسيح
عليه السلام استناداً على الرؤى والأحلام أو تحت الزعم بعصمة بابوات
الكنائس ، حيث كان هؤلاء البابوات وما زالوا يدعون العصمة من
الخطأ ولذا فهم يملكون الحق - بزعمهم - في تنقيح الأناجيل وممارسة
الإضافة والحذف في نصوصها حسب ما يترأى لهم؛ لأنهم مؤيدون
بروح القدس، وقد ترتب على زعم النصارى رؤية المسيح يقظة أو
التدرج بالروح والتنقل بها في ملكوت السماوات إدخال كثير من البدع
والخرافات في الدين المسيحي، وخير مثال على ذلك ما فعله بولس ^(٢) ،

(١) النصرانية والإسلام : ٣٢ ، ٣٣ انظر أيضاً (إظهار الحق : ٣٥) .

(٢) في سفر أعمال الرسل تفصيل لحياة بولس ، وقد أخذت أعماله من ذلك السفر الشطر
الأكبر ففي الفقرة الثالثة من الإصحاح الثاني والعشرين حكاية عنه (أنا رجل يهودي
ولدت في طرطوس وتربيت في اورشليم ، وهو القائل : (أنا فريسي ابن فريسي) . انظر
محاضرات في النصرانية : ٨٥ ، ٨٦ .

وهو في الأصل يهودي من طائفة الفريسيين، وكان يدعى شاول، وكان يكره النصارى ويضطهدهم اضطهاداً شديداً حتى رأى المسيح بزعمه يقظة فوبخه المسيح وأمره بالكف عن اضطهاد النصارى، ومنذ ذلك اليوم أصبح نصرانياً متعصباً بل من رواد التبشير بالنصرانية ومن مؤلفي الرسائل التي تحض على الإيمان بها.

وجاءت قصة بولس حول اعتناق النصرانية كما أوردها د. محمد عزت الطهطاوي كما يلي: «أما سبب اعتناق بولس للمسيحية فقد انبنى على رؤيا رآها ... إنه اقترب من دمشق فبغته أ برق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له: شاول .. شاول، لماذا تضطهدينى؟ فقال: من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده !! صعب عليك أن تقترب منا، فقال وهو مرتعد ومتحير: ماذا تريد أن أفعل؟ فقال الرب: قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل ... وللوقت جعل يبشر في المجامع بالمسيح: إن هذا هو ابن الإله»^(١).

بناءً على هذا الزعم أدخل بولس كثيراً من البدع والخرافات في

(١) النصرانية والإسلام : ٢٤٥ .

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه
النصرانية حيث ادعى بأن المسيح عليه السلام قد حل فيه وأمره بنشر
المسيحية، فصار بذلك مؤهلاً للتحديث في أمور الدين وكتابة الرسائل
التبشيرية نيابة عن المسيح عليه السلام ، كما يدعي .

ولهذا زعم بأن الأقوال التي كتبها في رسائله ليست من عنده ولكنها
من وحي المسيح الذي حل فيه .

ولعل أخطر ما ورد في رسائل بولس ادعائه بألوهية المسيح عليه
السلام، وهو أول من ابتدع فكرة صلب المسيح عليه السلام وقيامه من
الموت، كما ادعى بأن الإيمان الحقيقي يتمثل في الاتحاد روحياً بالإله
المصلوب الذي ضحى بنفسه وعرض نفسه للصلب من أجل خلاص
البشر من خطيئة سيدنا آدم عليه السلام .

وكان بولس يخلط بين الإله يهوه، إله اليهود الواحد وبين آلهة الإغريق
المتعددة ، فبذر بذلك بذرة التثليث التي أصبحت فكرة مركزية في الديانة
المسيحية حتى يومنا هذا، حيث يتكون الإله لديهم من الأب والابن
والروح القدس، وهذا منتهى الشرك والضلال .

أما يوحنا صاحب الإنجيل الرابع فإنه ضمن إنجيله سفرًا طويلاً
يتكون من عدة رسائل سماها سفر الرؤى؛ لأنها مبنية على رؤى رآها
في المنام استخلص منها أن المسيح إله يسيطر على الكون ويسير أموره

وأن المسيح أخبره بمن سيقوم على أمر النصارى حتى قيام الساعة.
يقول في ذلك الشيخ محمد أبو زهرة: «رؤيا يوحنا مكونة من عدة رسائل يسمونها السفر النبوي وهذه الرسائل في منحائها ومنهجها تخالف الرسائل الأخرى^(١) فبينما الرسائل الأخرى وعظية وتعليمية في جملتها نجد رسائل رؤيا يوحنا اللاهوتي تعنى ببيان ألوهية المسيح وسلطانه في السماء وعلمه بحال الكنيسة والقوامين على المسيحية من بعده، وهي تارة تصور الإله في عليائه كشبح أشيب يشبه المسيح عليه السلام متمطقاً عند ثدييه بحزام من ذهب وعيناه كلهب نار، وفي يده سبعة كواكب، وسيف ذو حدين يخرج من فيه... وتارة تصور المسيح عليه السلام خروفاً قائماً كأنه مذبح له سبعة قرون وسبع أعين... وتبين أن الناس يعرضون أمام الإله والمسيح ويخرون ساجدين، ثم تصور الملائكة وأحوالهم وأعمالهم، وهكذا...»^(٢).

(١) وهي اثنتان وعشرون رسالة: الأولى تسمى أعمال الرسل تنسب إلى يوحنا، وأربع عشرة كتبها بولس، ورسالة كتبها يعقوب، ورسالة كتبها بطرس، وثلاث رسائل كتبها يوحنا، ورسالة كتبها يهوذا، ثم هذا السفر الوارد عن يوحنا وهو باب كامل. انظر محاضرات في النصرانية: ٨٢، ٨٣.

(٢) محاضرات في النصرانية: ٨٢، ٨٣.

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه

يدعي يوحنا في هذا السفر أنه رأى المسيح الإله بعد رفعه عياناً بياناً فأراه المسيح أموراً غيبية، ما هو كائن وما سيكون إلى قيام الساعة، وأكد يوحنا على ألوهية المسيح التي أصلها بولس وزعم أن المسيح يسيطر على الكون؛ ولكي تتضح لنا أفكاره بصورة أفضل نأخذ مقتطفات من هذا السفر حيث يقول فيه : « أنا يوحنا أخوكم وشريككم في العقيدة وفي ملكوت يسوع المسيح وصبره، كنت في الجزيرة التي تدعى بطمس من أجل كلمة الله ومن أجل شهادة يسوع المسيح، كنت في الروح في يوم الرب، وسمعت ورائي صوتاً عظيماً كصوت بوق قائلاً إنه: هو الألف والياء والأول والآخر والذي تراه، اكتب في كتاب وأرسله إلى السبع الكنائس التي في آسيا، ولما التفت لأنظر الصوت الذي تكلم معي رأيت سبع منابر من ذهب، وفي وسط السبع منابر شبه إنسان متسربلاً بثوب إلى الرجلين وممنطق من ثدييه ... فلما رأيته سقطت على رجليه كميت فوضع يده اليمنى علي قائلاً: لا تخف أنا الأول والآخر والحي وكنت ميتاً وها أنا حي إلى أبد الأبدين آمين ... فاكتب ما رأيته وما هو كائن وسيكون بعد هذا»^(١).

(١) سفر الرؤى ١: ٩-١٦ .

ويقول يوحنا في موضع آخر من السفر : « ... نظرت وإذا باب مفتوح في السماء والصوت الأول الذي سمعته تكلم معي قائلاً : اصعد هنا فأريك ما لا بد أن يصير بعد هذا ... ونظرت وسمعت صوت ملائكة كثيرين حول العرش والحيوانات ... وسمعت صوتاً من السماء قائلاً لي : اكتب طوبى للأموات الذين يموتون في الرب منذ الآن ، نعم يقول الروح لكي يستريحوا من أتعابهم وأعمالهم تتبعهم ... ثم رأيت في السماء آية أخرى عظيمة وعجبية رأيت سبعة ملائكة ومعهم السبع ضربات الأخيرة التي سيكتمل بها غضب الرب ... وصوتاً عظيماً من الهيكل قائلاً للملائكة السبعة : امضوا واسكبوا جامات غضب الله على الأرض ... رفع ملاك واحد قوي حجراً كرحى عظيمة ورماه في البحر قائلاً : هكذا سترمى بابل ، المدينة العظيمة ولن توجد فيما بعد»^(١).

ثم يقول يوحنا في سفر آخر : « أنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها ... »^(٢)

قد تكون الأصوات التي ادعى كل من بولس ويوحنا سماعها أصواتاً

(١) سفر الرؤى ١٤ : ١٣ ، ١٤ ، ١٦ .

(٢) سفر الرؤى ٢١ : ٢ ، ٣ .

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه

شيطانية ، وقد تكون أوهاما لا أساس لها في الواقع ، وقد تكون حيلاً محبوكة من جانبهما تهدف لإثارة دهشة الحاضرين وربطهم بعوالم غريبة وخيالية تتصل بعالم الغيب وذلك تمهيداً لجذبهم إلى اعتناق الديانة النصرانية . ومما يرجح بأن الهاتف الذي سمعه بولس كان هاتفاً شيطانياً أن مثله قد كان معروفاً في صحراء العرب حيث كانت الشياطين والجن تظهر للعرب ترهبهم ، فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (١) ، وقد عقد العلامة المسعودي فصلاً كاملاً في تفسيره لهذه الآية ذكر فيه قول العرب في الهواتف والجان ما يلي: « فأما الهواتف فقد كانت كثرت في العرب واتصلت بديارهم ... ومن حكم الهواتف أن تهتف بصوت مسموع وجسم غير مرئي ، والشياطين إذا وجدت مناخاً ملائماً وطاعة من البشر تحقق نجاحاً في إضلال البشر» (٢) . كما أوضحت السنة النبوية الشريفة أن الشيطان قد يتمثل في صورة بشر وذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : وكلني رسول الله ﷺ

(١) سورة الجن، الآية : ٦ .

(٢) مروج الذهب ٢ / ١٦٠ .

بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آت ، فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ - فقص الحديث - فقال - أي الشيطان- : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ، لن يزال معك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، قال النبي ﷺ : « صدقك وهو كذوب ذاك شيطان »^(١) .

وعلى الرغم من أن المسيح عليه السلام قد رفع قبل أكثر من ألفي عام وأن الوحي قد انقطع بذلك عن أتباعه إلا أنهم ما زالوا يضيفون إلى الأناجيل ما يرونه مناسباً ويحذفون منها ما لا يرونه مناسباً ، مما أدى إلى ظهور تشريعات وأحكام جديدة قد تكون مخالفة لما هو مدون في الأناجيل الأربعة وملحقاتها .

وعلى الرغم من أن هذه الإضافات الجديدة قد تكون متناقضة ومتضاربة مع الأناجيل المعتمدة لديهم ، يصر بابوات الكنائس أن هذه الإضافات من وحي المسيح عليه السلام وأنهم مخولون بإضافة مثل هذه الأقوال إلى الأناجيل ؛ لأنهم - حسب زعمهم - يؤيدون بروح

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوكالة ، باب إذا أوكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه برقم

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزيزة علي طه
القدس الذي يهديهم إلى سواء السبيل .

وهذا يدل على أن القائمين على أمر الإنجيل لم يتحملوا الإنجيل بأي طريقة من طرق التحمل^(١) المعروفة لدى علماء المصطلح، ولم يؤدوه كما صدر عن عيسى عليه السلام، بل أضافوا إليه أشياء وحذفوا منه أشياء، ولم يعتبروه المصدر الوحيد للتشريع لديهم، إنما أضافوا إليه مصادر أخرى للتشريع كقوانين الرسل وقرارات المجامع الكنسية، وقوانين ومراسيم بابوات الكنائس وبخاصة البابا بروما .

ولقد استمر التغيير والتبديل في محتويات الأناجيل حتى أواخر القرن الماضي حيث عمد بابوات الكنائس في الولايات المتحدة الأمريكية إلى إحداث بعض التغييرات والتبديلات في محتويات الإنجيل، وذلك استجابة لضغوط الحركات النسائية التحررية حيث قام بابوات الكنائس بإضافة بعض النصوص في الأناجيل بما يساعد على تحقيق المساواة

(١) المراد بتحمل الحديث النبوي الشريف هو بيان طرق أخذه وتلقيه من الشيوخ وذلك بعد سماع الحديث من الشيوخ سماع رواية وتحمل ليؤديه فيما بعد لغيره ثم عليه أن يضبط ما تلقاه من الحديث ضبطاً يؤهله لأن يرويه لغيره على شكل يُطمأن إليه ... انظر تيسير مصطلح الحديث : ١٩٤ - ٢٠٣ لمزيد معرفة في هذا الشأن يمكن الرجوع إلى :
نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أو علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح).

المزعومة بين الرجال والنساء ، وإعطاء النساء الحق في تقلد بعض المناصب الدينية الكهنوتية حتى تتدرج المرأة في ذلك كالرجال تماماً. وفي عام ١٩٦٨م أصدر بابا الفاتيكان مرسوماً يقضي بتحريم تحديد النسل بعد أن كان مباحاً ، كما أباح الزواج لرجال الدين المسيحي من الرهبان بعد أن كان محرماً ، وأدخل بعض الكلمات والعبارات في الإنجيل إرضاء لرغبة النساء الراغبات في التحرر. ولقد فعل البابا كل ذلك تحت الزعم بأنه يشرع نيابة عن المسيح عليه السلام وباعتباره معصوماً من الخطأ؛ لأنه مؤيد في أفعاله وأقواله من جانب الروح القدس. وهكذا يستمر التحريف في كتابهم المقدس من جانب البابا وأمثاله من الكهنوت إلى ما شاء الله تحت هذه المزاعم الباطلة والحجج الواهية.

المبحث الثالث - تحذير النبي ﷺ من الابتداع في الدين والحض على لزوم السنة :

معنى البدعة لغة : (١)

بدع الشيء يبدعه بدعاً، ابتدعه : أنشأه ، وبدع الركية استنبطها وأحدثها ، وركي بديع : حديثة الحفر ... والبديع والبدع الشيء يكون

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ١٠٦، ١٠٧.

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزيزة علي طه

أولاً، وفي التنزيل : ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ ﴾^(١) أي ما كنت أول من أرسل ، قد أرسل قبلي رسل كثير ... والبدعة كل محدثة ... وأبدع وابتدع وتبدع أتى ببدعة ، قال الله تعالى : ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾^(٢) ، وبدعه نسبه إلى البدعة . واستبدعه : عده بديعاً ، والبديع المحدث العجيب . والبديع المبدع . وأبدعت الشيء : اخترعته لا على مثال . والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها ، وهو البديع الأول قبل كل شيء ، ويجوز أن يكون بمعنى مبدع ، أو يكون من بدع الخلق أي بدأه ، كما قال سبحانه : ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾^(٣) أي خالقها ومبدعها ، فهو سبحانه الخالق المخترع لا على مثال سابق ، إلا أن بديعاً من بدع لا من أبدع ، وأبدع أكثر في الكلام من بدع ، ولو استعمل بدع لم يكن خطأ ، فبديع فاعل مثل قدير بمعنى قادر ، وهو صفة من صفات الله تعالى ، لأنه بدأ الخلق على ما أراد على غير مثال تقدمه ... وسقاء بديع ، جديد ، وكذلك زمام بديع ... والبدع في الخير والشر ... وأبدعت الإبل ، كلت أو عطبت ... وأبدع به : كلت راحلته أو

(١) سورة الأحقاف : ٩ .

(٢) سورة الحديد : ٢٧ .

(٣) سورة البقرة : ١١٧ .

عطبت وبقي منقطعاً به ... وفي الحديث : (أن رجلاً أتى النبي ﷺ وقال : يا رسول الله : إني أبعد بي فاحملني)^(١) أي انقطع بي لكلال راحلتي ... وفي المثال : إذا طلبت الباطل أبعد بك . قال أبو سعد : أبعدت حجة فلان أي : بطلت حجته .

البدعة اصطلاحاً :

جاء في الحديث الشريف : (كل محدثة بدعة)^(٢) والمراد ما خالف أصول الشريعة ولم يوافق السنة . والبدعة هي : الإحداث في الدين بعد الإكمال ، قال النبي ﷺ : (وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة ...)^(٣) كما جاء في بعض طرق الحديث : (... وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة ...)^(٤) ومن يدعو إلى الضلال يأثم . قال ﷺ في بعض طرق الحديث : (... ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢ / ٤ ، وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، والترمذي في كتاب العلم .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، حديث العرباض بن سارية برقم (١٧١٤٤) .

(٣) الاعتقاد ٢٦٤ ، أخرج ابن ماجه أيضاً نحوه في المقدمة ، باب : اجتناب الفتن والجدل ١ / ١٩ .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٢٦ / ٤ ، ١٢٧ ، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة ، باب

اجتناب الفتن والجدل ١ / ٤٤ ، ٤٥ .

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د.عزبة علي طه
تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً) ^(١).

وجاء في النهاية : « البدعة الحدث وما ابتدع في الدين بعد الإكمال،
وقال ابن السكيت: البدعة كل محدثة ... والمراد بقوله: كل محدثة
بدعة : ما خالف أصول الشريعة ولم يوافق السنة ، وأكثر ما يستعمل
المبتدع في الذم » ^(٢).

والمراد بالعرف هنا عرف الشرع، كما وضح ذلك في شرح ابن حجر
حيث قال : « والمحدثات جمع محدثة والمراد بها ما أحدث وليس له
أصل في الشرع ، ويسمى في عرف الشرع بدعة ، فالبدعة في عرف الشرع
مذمومة ... والمراد بقوله : كل بدعة ضلالة : ما أحدث ولا دليل له من
الشرع » ^(٣).

أولاً : تحذير النبي ﷺ من الابتداع في الدين :

لقد حذر النبي ﷺ من الابتداع في الدين حيث وردت في هذا الشأن
أحاديث صحيحة كثيرة ، كما اقتدى أصحابه الكرام به والتزموا بما جاء
في سنته واهتدوا بهديه وحذروا من الابتداع في الدين ومن تلك الأحاديث

(١) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة برقم (٢٦٧٤).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ١٠٧/١ .

(٣) فتح الباري ٣٠١/٥ .

النبوية الشريفة التي حذرت من الابتداع في الدين ما يلي :

الحديث الذي أخرجه ابن ماجه بسنده من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول : صباحكم ومساءكم . ويقول: (بعثت أنا والساعة كهاتين ، وقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى : ويقول: أما بعد - فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة . ثم يقول : أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك ما لأهلته ، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليّ وعلي)^(١).

ويتضح لنا من الحديث الذي أخرجه البيهقي أن الضلال يؤدي إلى النار، حيث أخرج بسنده من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته يحمد الله ويشني عليه بما هو أهله ثم يقول: (من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له . أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل ١ / ١٧ ، وأخرجه في باب اتباع

سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ١ / ٧ .

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه
بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار (١).

كما ورد في حديث شريف آخر أن النبي ﷺ حذر من اتباع الهوى، وأوجب على صاحب البدعة أن يتوب إلى الله توبة نصوحاً .
ويدلنا على ذلك الحديث الذي ورد في كتاب الزواجر أنه ﷺ قال:
« من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد . أما بعد : فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة ، إنما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم، ومضلات الهوى ، إياكم والمحدثات فإن كل محدثة ضلالة إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته » (٢) .

وأخرج الإمام مسلم بسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم) (٣) وأخرج مسلم أيضاً بسنده من حديث جابر بن سمرة قال : سمعت رسول

(١) الاعتقاد : ٢٦٤ .

(٢) أخرجه ابن ماجه في المقدمة ، باب اجتناب البدع والجدل ١ / ١٩ .

(٣) أخرجه مسلم في المقدمة ، باب في الضعفاء والكذابين ، برقم (٧) .

الله ﷺ يقول: «إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم»^(١) قال الدارقطني: فحذرنا رسول الله ﷺ الكاذبين ونهانا عن قبول رواياتهم وأمرنا باتقاء الرواية عنه ﷺ إلا ما علمنا صحته كما أخرج أحمد والدارقطني بسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (اتقوا الحديث عني إلا ما علمتم)^(٢) ومن حديث رافع ابن خديج عن أبيه عن جده قال: كنا عند رسول الله ﷺ فجاء رجل فقال: يا رسول الله إن الناس يحدثون عنك بكذا وكذا، قال: «ما قلته، ما أقول إلا ما ينزل من السماء، ويحكم، لا تكذبوا علي فإنه ليس ككذب علي غيري»^(٣). قال الدارقطني: ومن سنته ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين من بعده الذب عن سنته، ونفي الأخبار الكاذبة عنها والكشف عن ناقلها وبيان تزوير الكاذبين وضلال المضلين. ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتجنبون أصحاب الأهواء والبدع ويذمونهم، ويحذرون منهم، وفي هذا الشأن أورد الهيثمي ما يلي: (عن ابن مسعود رضي الله عنه وقف على قاص فقال له: لقد ابتدعت

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش... برقم ١٨١٩.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١ / ٢٢٧.

(٣) انظر تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، الفصل الثاني في تحريم الكذب عنه صلى

الله عليه وسلم رقم (١١-١٣).

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د.عزبة علي طه
بدعة ضلالة أو إنك لأهدى من محمد ﷺ وأصحابه، فتفرق الناس عنه
لم يبق عنده أحد (٤) كما أخرج أبو داود عن مجاهد قال: كنت مع ابن
عمر رضي الله عنهما فثوب رجل في الظهر أو العصر قال: اخرج بنا فإن
هذه بدعة (٥).

والتثويب هو الدعاء للصلاة وغيرها (٦) .. فإذا قال المؤذن: حي على
الصلاة، فقد دعاهم إليها فإذا قال بعد ذلك: الصلاة خير من النوم فقد
رجع إلى كلام، معناه المبادرة إليها.

وفي حديث بلال: أمرني رسول الله ﷺ ألا أثوب في شيء من الصلاة
إلا في صلاة الفجر وهو قوله: الصلاة خير من النوم ... اهـ.

وأنه لمن الواضح أن من أقبح القبائح الكذب على رسول الله ﷺ
لترويج البدعة وإن من يؤيد المبتدع يعين على هدم الإسلام.

أورد صاحب مشكاة المصابيح في ذلك الحديث التالي عن رسول
الله ﷺ: (من قرصاحب بدعة، فقد أعان على هدم الإسلام) (٧)

(٤) الزواجر ١ / ١٠٠ .

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب التثويب ١ / ١٨٤ .

(٦) لسان العرب ١ / ٨٤ .

(٧) مشكاة المصابيح: ١٨٧، قال الألباني: حديث صحيح .

وحذر النبي أيضاً من إطفاء السنة وإحياء البدعة ، وأوصى صحابته بأن يأخذوا حذرهم من أصحاب البدع وألا يجاروهم في بدعهم . يدلنا على ذلك الحديث الذي ورد في دلائل النبوة عن رسول الله ﷺ كالتالي : «إنه سيلي أمركم من بعدي رجال يطفئون السنة ويحدثون البدعة ، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها . قال ابن مسعود: يا رسول الله كيف بي إذا أدركتهم؟ قال: ليس يا ابن أم عبد طاعة لمن عصى الله، قالها ثلاث مرات» ^(١) .

ولقد أجمع العلماء على أن الكذب على رسول الله ﷺ حرام . قال النووي في شرح مسلم ^(٢) : (تحرم رواية الحديث الموضوع على من عرف كونه موضوعاً ، أو غلب على ظنه وضعه ولم يبين حال روايته أنه موضوع ، فهو داخل تحت الوعيد ... مندرج في جملة الكاذبين على رسول الله ﷺ لقوله ﷺ : (من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين) ^(٣) ولا فرق في تحريم الكذب عليه ﷺ بين ما كان في الأحكام ، وما لا حكم فيه كالترغيب والترهيب والمواعظ وغير ذلك

(١) دلائل النبوة : ٥٦٢ ، انظر أيضاً المسند ١ / ٤٠٠ .

(٢) شرح النووي على مقدمة صحيح مسلم ١ / ١٩ .

(٣) أخرجه ابن ماجه في المقدمة ، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١ / ٧ .

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه
وكله حرام من أكبر الكبائر وأقبح القبائح بإجماع المسلمين الذين يعتد
بهم في الإجماع ... وقد أجمع أهل الحل والعقد على تحريم الكذب
على آحاد الناس فكيف بمن قوله شرع وكلامه وحي ، والكذب عليه
كذب على الله تعالى . قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ
يُوحَىٰ ۖ ﴾^(١) .

ثانياً - الأمر بلزوم السنة :

لقد أمرنا النبي ﷺ بلزوم السنة وإحيائها ، ولقد اقتدى الصحابة
والتابعون بذلك فصاروا يبلغون عنه هذا الأمر ويركزون عليه . ومن
الأحاديث التي وردت في هذا الشأن ما يلي :

جاء في الحديث الشريف قول النبي ﷺ : « تركت فيكم ما إن تمسكتم
بهما لن تضلوا : كتاب الله وسنتي »^(٢) ، وأخرج ابن ماجه حديثاً عن
العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ، فوعظنا
موعظة بليغة ذرفت منها العيون ، ووجلت منها القلوب ، فقال قائل :
يا رسول الله كأنها موعظة مودع ، فأوصنا ، فقال : « أوصيكم بتقوى الله

(١) سورة النجم : ٢ .

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤ / ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، وأخرجه مالك في كتاب القدر ، باب
النهي عن القول بالقدر ٢ / ٨٩٩ .

والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم فسيرى
اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، وعضوا
عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»^(١).

وعن فضل من أحيا سنة قد أميتت جاء في سنن الترمذي أن النبي
ﷺ قال: «من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل
أجور من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن ابتدع بدعة
ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه من الإثم مثل آثام من عمل بها لا
ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً»^(٢).

وعنه ﷺ في حديث طويل فيه: «لكني أنا أنام وأصلي، وأصوم وأفطر،
فمن اقتدى بي فهو مني، ومن رغب عن سنتي فليس مني، إن لكل عمل
شرة ثم فترة، فمن كانت فترته إلى بدعة فقد ضل، ومن كانت فترته إلى
سنة، فقد اهتدى»^(٣).

وعنه ﷺ قال: «من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي، فإن له من

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ ٧ / ١ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب العلم، باب بيان ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع

٣٢١ / ٧، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤٠٩ / ٥ .

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزبة علي طه
الأجر مثل من عمل بها من الناس لا ينقص ذلك من أجورهم ، ومن
ابتدع بدعة لا ترضي الله ورسوله ، فإن له إثم من عمل بها من الناس لا
ينقص ذلك من آثام الناس شيئاً»^(١) .

وعن عمرو بن عوف المزني أن النبي ﷺ قال لبلال بن الحارث :
«اعلم» قال : ما أعلم يا رسول الله قال : «إنه من أحيا سنة من سبتي قد
أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من
أجورهم شيئاً ، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه
مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس» ، وفي رواية «من
آثام الناس شيئاً»^(٢) .

وفي تحذير النبي ﷺ الذين لا يأخذون بسنته مكتفين بكتاب الله
وحده ، أخرج ابن ماجه من حديث المقدم بن معد يكرب قال : قال
رسول الله ﷺ : «يوشك رجل منكم متكئاً على أريكته يحدث بحديث
عني فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه من حرام حرمناه ، ألا

(١) أخرجه الترمذي في كتاب العلم ، باب بيان ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع
٣٢٢ / ٧ (وحسنه) .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب العلم ، باب بيان ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع
٣٢٤ / ٧ (انظر أيضاً شرح السنة ١ / ١٩٨) .

وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل الذي حرم الله عز وجل»^(١).

وإنه لمن الواضح في الحديث السابق أنه لا ينبغي لأحد أن يأخذ بالقرآن الكريم ويترك السنة... كما حذر النبي ﷺ عن اتباع أهل الشرائع السابقة جاء في الحديث «والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتكم...»^(٢).

ولقد التزم الصحابة رضوان الله عليهم بتوجيهات النبي ﷺ الواردة فيما يتعلق بلزوم السنة حيث كانوا يزجرون كل من لا يلتزم بالكتاب والسنة سلوكاً وأدباً وعبادة وإن كان يفعل ذلك بحسن نية.

ويدلنا على ذلك ما رواه الدارمي من أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه دخل المسجد في الكوفة فرأى حلقاً، وفي وسط كل حلقة كوم من الحصى، ورجل قائم على كل حلقة يقول لهم: سبحوا مئة فيسبحون مئة، احمدا مئة، فيحمدون مئة، كبروا مئة، فيكبرون مئة. فقال لهم ابن مسعود: والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدي من ملة محمد ﷺ، أو

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب: اتباع سنة رسول الله ﷺ ٦/١.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٨٠٤/٢ وحسنه محقق الكتاب وعزاه إلى مصنف عبد الرزاق

٦/١١٣، ١١/٣١٣. وابن أبي شيبة ٤٧/٩، والمسند ٣/٣٨٧، والدارمي ١/١١٥.

كما قال المحقق للحديث طرق وشواهد واستوفاه فضيلة الشيخ الألباني في الإرواء ١٥٨٩.

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه
مفتتحو باب ضلالة، فقالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير،
فقال لهم: وكم من مريد للخير لن يصيبه (١).

وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «ردوا الجهالات إلى السنة» (٢).
وقال ابن شهاب الزهري وهو يذكر ما وقع فيه الناس من ترك السنن:
(إن اليهود والنصارى انسلخوا من العلم الذي كان بأيديهم حين استبقوا
الرأي وأخذوا به).

وقال الشعبي: «إنما هلك من كان قبلكم حين تشعبت بهم السبل
وحادوا عن الطريق، فتركوا الآثار فقالوا في الدين برأيهم فضلوا
واختلفوا» (٣).

المبحث الرابع :- ادعاء مشايخ الصوفية التلقي عن النبي صلى الله عليه وسلم في
الرؤى والأحلام وما ترتب على ذلك من التحريف في الدين:

لقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ كتابه الكريم قال تعالى: ﴿إِنَّا
نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ

(١) أخرجه الدارمي ، باب في كراهية أخذ الرأي برقم (٢١٠) .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٩٢١ / ٢ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ١٠٥٠ / ٢ ، ١٠٥١ .

(٤) سورة الحجر : ٩ .

لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتُ عَزِيْزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾^(١).

كما حفظ الله سبحانه وتعالى سنة نبيه ﷺ من كذب الكاذبين بما أقام عليها من الحراس الأمناء الذين حفظوها ووثقوها وتناقلوها فيما بينهم جيلاً عن جيل بحرص وأمانة متناهية ، ونفوا عنها كل ما حاول إدخاله فيها أصحاب البدع والأهواء والكذابون والدجالون من أحاديث موضوعة .

لكن المبتدعين من أصحاب الفرق الضالة كالصوفية وغيرهم حاولوا صرف انتباه الناس عن الكتاب والسنة وصاروا يشرعون حسب أهوائهم كما فعل النصاري من قبلهم ، فشغلوا العامة بالحكايات المكذوبة والمنامات المزورة ، التي تشتمل على الترغيب والترهيب والوعود الكاذبة ، فانجرف بعض العامة وراء تلك الخرافات والضلالات دون وعي منهم بحقائق الإسلام التي تحث على لزوم الكتاب والسنة والابتعاد عن البدع .

وسوف أتناول في هذا المبحث مصادر التشريع في الإسلام المعتبرة

(١) سورة فصلت : ٤٢ .

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه
عند علماء المسلمين من الأصوليين والفقهاء والمحدثين والمفسرين
وغيرهم من العلماء والتي استندوا عليها في تأصيل العقيدة والأحكام
والعبادات والمعاملات وغيرها ، وكل ما يتصل بأمور الدين ، كما ورد
ذلك في الكتاب والسنة .

ثم أتناول مصادر التلقي عند مشايخ الصوفية والتي جعلوها أساساً
لأقوالهم وأفعالهم ومعتقداتهم وأذكارهم ، وهي في الأساس لا تمت
لمصادر التشريع في الإسلام بأدنى صلة ، ثم ننظر في مدى صمود مصادر
التلقي عند مشايخ الصوفية ، أمام منهجية المحدثين في توثيق السنة
وذلك كما يلي :

أولاً : مصادر التشريع في الإسلام :

إن مصادر^(١) الأحكام الشرعية في الإسلام هي الأدلة الشرعية التي
تستنبط منها الأحكام الشرعية . والأدلة جمع دليل والدليل في اللغة
الهادي على شيء حسي أو معنوي ، وفي الاصطلاح هو : ما يتوصل
بصحيح النظر فيه إلى حكم شرعي عملي ، ويرى الفقهاء أن مصادر
التشريع في الإسلام تنقسم إلى مصادر متفق عليها بين جمهور العلماء

(١) انظر أصول الفقه الإسلامي ١/ ٤١٧ - ٤١٩ ، انظر أيضاً علم أصول الفقه : ٢٦، ٢٧ .

من الفقهاء، وهي: الكتاب والسنة والإجماع والقياس.

أما الأدلة المختلف عليها كما يقول د. وهبة الزحيلي: (هي التي لم يتفق جمهور الفقهاء على الاستدلال بها وأشهرها سبعة هي: الاستحسان، والمصالح المرسلة (أو الاستصلاح)، الاستصحاب، العرف، مذهب الصحابي، شرع من قبلنا، الذرائع).

ويستطرد د. وهبة الزحيلي قائلاً: «والضابط الحاصر للأدلة هو: أن الدليل إما وحي أو غير وحي، والوحي إما متلو أو غير متلو فإن كان وحيًا متلوًا فهو القرآن، وإن كان وحيًا غير متلو فهو السنة، وإن كان غير وحي: كان رأي المجتهدين من الأمة فهو الإجماع، وإن كان إلحاق أمر بآخر في حكم لاشتراكهما في العلة فهو القياس، وإن لم يكن شيئًا من ذلك فهو الاستدلال وهو متنوع إلى أنواع، فالأدلة الأربعة الأولى اتفق جمهور المسلمين على الاستدلال بها، فهي واجبة الاتباع، واتفقوا على أنها مرتبة في الاستدلال بها كما يلي: القرآن الكريم، فالسنة، فالإجماع، فالقياس. ويلاحظ أن هذه الأدلة إما أن تكون أصلاً مستقلاً بنفسه في التشريع وهو القرآن الكريم والسنة والإجماع وما يتعلق بذلك كالاستحسان والعرف ومذهب الصحابة، أو ليست أصلاً مستقلاً بنفسه وهو القياس ...

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه
ومعنى كون الدليل أصلاً مستقلاً بنفسه في التشريع هو أنه لا يحتاج
في إثبات الحكم إلى شيء آخر ، أما القياس فإنه يحتاج في إثبات الحكم
إلى أصل وارد في الكتاب والسنة والإجماع ، ويحتاج أيضاً إلى معرفة
علة حكم الأصل ... اهـ .^(١)

ويقول د. عبد الوهاب خلاف : « إنه إذا عرضت واقعة ، نظر أولاً
في القرآن ، فإن وجد فيه حكمها أمضي ، وإن لم يوجد فيه حكمها نظر
في السنة فإن وجد حكمها أمضي ، وإن لم يوجد فيه حكمها نظر في
المجتهدين في عصر من العصور على حكم فيها ، فإن وجد أمضي ، وإن
لم يوجد فيها اجتهد في الوصول إلى حكمها بقياسها على ما ورد النص
بحكمه ... أما البرهان على الاستدلال بها فهو قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ
إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ ^(٢) ، ^(٣) .

فالأمر بطاعة الله ورسوله ، أمر باتباع القرآن الكريم والسنة النبوية ،
والأمر بطاعة أولي الأمر ، من المسلمين أمر باتباع ما اتفقت عليه كلمة

(١) أصول الفقه الإسلامي ١ / ٤١٥ - ٤١٩ .

(٢) سورة النساء : ٥٩ .

(٣) علم أصول الفقه : ٢٦ - ٢٨ .

المجتهدين في الأحكام ؛ لأنهم أولو الأمر التشريعي من المسلمين،
والأمر برد الوقائع المتنازع فيها إلى الله والرسول أمر باتباع القياس،
حيث لا نص ولا إجماع ؛ لأن القياس فيه رد المتنازع فيه إلى الله وإلى
الرسول، أي إلحاق واقعة لم يرد النص بحكمها بواقعة ورد النص
بحكمها في الحكم الذي ورد فيه النص لتساوي الواقعتين في علة الحكم،
فالآية تدل على اتباع هذه الأربعة ... أهـ .

أما ترتيبها عند الاستدلال بها فقد وردت أحاديث نبوية أيضاً تشير
إلى ذلك، منها حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن
قال له: «كيف تقضي إذا عرض عليك قضاء؟» قال أقضي بكتاب الله
قال: «فإن لم تجد في كتاب الله؟» قال : بسنة رسول الله قال : «فإن لم
تجد في سنة رسول الله؟» قال : أجتهد رأيي ولا آلو^(١) قال : فضرب
رسول الله ﷺ على صدره وقال: «الحمد لله الذي وفق رسول رسول
الله لما يرضي رسول الله».

وأورد البغوي أيضاً عن ميمون بن مهران قال : « كان أبو بكر إذا ورد
عليه الخصوم نظر في كتاب الله ، فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به،

(١) علم أصول الفقه : ٣٧ .

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه
وإن لم يكن في الكتاب وعلم عن رسول الله ﷺ في ذلك الأمر سنة قضى
بها فإن أعياه أن يجد في سنة رسول الله ﷺ جمع رؤوس المسلمين).
ومما ذكر آنفاً يتضح لنا جلياً بأن مصادر التشريع في الإسلام لا
تتضمن الرؤى والأحلام ، بل هي أبعد ما تكون عن ذلك .

ثانياً : مصادر التلقي عند الصوفية :

وبعد استعراض مصادر التشريع في الإسلام يتضح لنا بما لا يدع مجالاً
للشك أن الرؤى والأحلام ليست من مصادر التشريع المتفق عليها بين
جمهور الفقهاء ولا حتى تقع ضمن المصادر المختلف عليها ولهذا فإن
الاستناد عليها في أمور الدين لا يجوز بأي حال من الأحوال ، ولكن على
الرغم من هذا اعتمدها مشايخ الصوفية كمصدر أساسي للتشريع وبنوا
عليها كثيراً من الطقوس والممارسات والاعتقادات والأوراد وحتى
العبادات المبتدعة التي ليست لها علاقة بكتاب الله ولا سنة رسوله
ﷺ ، ولذا فهم قد أحدثوا في الدين ما ليس منه ، ويدلنا على ذلك أفعال
وأقوال وممارسات مشايخ وأتباع كل من الطريقة التيجانية ^(١) والطريقة

(١) لمعرفة سيرة التيجاني، منشئ هذه الطريقة ونبذة عن عقيدته وأتباعه وحكم الشريعة فيمن
يعتقد هذه العقيدة، انظر (فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ٢٣/٢ - ٢٤٠).

الكتانية^(١) كنماذج للممارسات المعتادة من جانب الطرق الصوفية التي تنتشر في مختلف أرجاء العالم الإسلامي وبخاصة في إفريقيا .
وفي هذا المبحث أود أن ألقى بعض الضوء على مصادر التلقي لدى الصوفية^(٢) التي تختلف عن مصادر التشريع في الإسلام اختلافاً كاملاً ويمكن تلخيص أهمها فيما يلي :

١ - الكشف :

يعتمد مشايخ الصوفية على ما يسمونه بالكشف، متخذين منه مصدراً وثيقاً لتلقي الدين والشريعة، وينقسم الكشف عندهم إلى كشف من النبي ﷺ فيأخذون - بزعمهم - الأحكام الشرعية منه مناماً أو يقظة كفاحاً دون سند أو واسطة توصلهم إلى النبي ﷺ رغم البعد الزمني بين عصر النبي ﷺ والعصر الذي عاش فيه هؤلاء المشايخ .
كما يزعم هؤلاء المشايخ أنه ﷺ يأتيهم^(٣) ويخاطبهم ويلقنهم أذكراً

(١) لمعرفة الطريقة الكتانية ومؤسسها انظر كتاب (التعريف بالطريقة الكتانية) تأليف : محمد حمزة بن علي الكتاني ، انظر أيضاً (الشرب المختصر والسر المنتظر من معين أهل القرن الثالث عشر) .

(٢) انظر أبحاث هيئة كبار العلماء ٦ / ١٢ - ٢٩ .

(٣) انظر أبحاث هيئة كبار العلماء ٦ / ١٢ - ٢٤ .

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه
وأوراداً لم يذكرها حال حياته ويضفي عليهم مناقب ، ويعددهم بمقامات
عالية وغير ذلك من الأشياء التي ما أنزل الله بها من سلطان. أما الذي
يفتح عليه عن طريق الكشف - بزعمهم - فإنهم يلقبونه بالمكاشفي
وهذا شبيه بعلم التنجيم ، حيث يتدرج المرید بالذكر والأوراد حتى يصل
إلى مرحلة الكشف فتتكشف له الحجب ، ويشاهد العرش والفرش ولا
يبقى شيء من المغيبات خافياً عليه .

يقول ابن عبد البر في ذم المنجمين والمدعين معرفة الغيب ما يلي :
«إن القضاء بعلم التنجيم علم مذموم لا يتناوله ولا يقطع أيامه فيه إلا
الخراصون الذين هم في غمرة ساهون .. قال تعالى : ﴿ قُلِ الْخَرَّصُونَ ﴾ (١٠)
الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ (١) ... وأنه لا يعلم أحد بالنجامة شيئاً
من الغيب .. إلا أن يكون نبياً خصه الله بما لا يجوز إدراكه ... ولا
يدعي معرفة الغيب بها اليوم على القطع إلا كل جاهل منقوص ، مغتر ،
متخرص ... والمتخرصون بالنجامة كالمتخرصين بالعيافة والزجر
وخطوط الكف ... وما شاكل ذلك مما لا تقبله العقول ولا يقوم عليه
برهان ... ولا صحيح على الحقيقة إلا ما جاء في أخبار الأنبياء صلوات

(١) سورة الذاريات : ١٠

الله عليهم) ^(١).

أما الكشف الآخر لدى مشايخ الصوفية فهو الكشف عن الخضر عليه السلام حيث تكثر حكايات مشايخ الصوفية فيما يتصل بلقائه والأخذ عنه أحكاماً شرعية وعلوماً دينية، ويدعون أنه يعلمهم الأذكار والأدعية حتى وإن كانت متعارضة مع ما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة .

٢- الإلهام :

ويقصدون به الأخذ عن الله سبحانه وتعالى مباشرة، وهكذا جعلوا مقامهم فوق مقام النبي ﷺ؛ لأنهم - كما يزعمون - يأخذون العلم من الحق سبحانه وتعالى مباشرة دون حاجة إلى جبريل عليه السلام، إذ إن الله سبحانه وتعالى يلهمهم العلم إلهاماً فيلقيه في روع أحدهم دون وسيط. يقول ابن عراق عن مخالفة الصوفية للشرع واتباعهم للبدع والعزلة في البراري والقفار تحت الزعم بأن الله تعالى يلهمهم ما يلي: (من تلك الخرافات وشبهها نشأت فكرة الصوفية التي عمت وطمت أنحاء العالم الإسلامي فشلت حركة المجتمع واتخذت الدروشة والرهبة شعاراً والرقص وأشباهه دثاراً، وقضت على الحركة الفكرية بانتحالها لعلم

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٧٩٠، ٧٩١.

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه
الباطن ويقولون فيه على لسان الرسول ﷺ : علم الباطن سر من أسرار
الله يقذفه في قلب من يشاء من عباده) (١).

٣- الهواتف :

ويعنون بها سماع الخطاب من الله مباشرة أو من الملائكة، أو الجن
الصالح، أو أحد الأولياء من الأموات. وهذا شبيه بما اعتمده كتاب
الإنجيل في فترة المسيحية الأولى وجعلوه أساساً لما احتوته أناجيلهم
من تعاليم، حيث ادعوا أنهم سمعوا هواتف وأصواتاً صدرت من
المسيح - بعد صلبه المزعوم مباشرة - تدعوهم إلى تسجيل وحفظ ما
يتلقونه عنه فأطلقوا على ذلك اسم (كرست فون) فدونوا كثيراً من
الأقوال، بناءً على ما أمرهم به هذا الهاتف المزعوم ثم ضمنوا تلك
الأقوال في أناجيلهم باعتبار أنها صادرة عن المسيح عليه السلام. وهذا
شبيه أيضاً بالاعتقاد السائد عند بابوات الكنائس حيث إنهم يعتقدون
أن روح القدس معهم يساندهم منذ صلب المسيح المزعوم وإلى
يومنا هذا ويملي عليهم مزيداً من التوجيهات التي يزعمون أنها صادرة
عن المسيح عليه السلام، وبما أن هؤلاء البابوات يعتقدون بأنهم

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة ٢ / ٢١٢ .

مؤيدون بروح القدس فإنهم معصومون من الخطأ فلا مجال لدحض ما يدعون أنهم تلقوه عن المسيح أو ما يبتكرونه هم أنفسهم من أفكار ومعتقدات يضيفونها إلى كتابهم المقدس؛ لأن الخطأ مستحيل في حقهم كما يزعمون، ويبدو أن مشايخ الصوفية لم يتورعوا عن اتباع بابوات الكنائس في مثل هذا الضلال حيث سلكوا سبيلهم في الاعتماد على الهواتف أساساً لبعض أقوالهم وأفعالهم وممارساتهم المنكرة^(١).

٤ - الإسراء والمعراج :

ليس المقصود بهذا إسراء النبي ﷺ ومعرجه ، بل المقصود به إسراء الولي الصوفي بروحه إلى العالم العلوي والتنقل في ملكوت السموات كيفما أراد، حيث يطلع على كثير من الأسرار - كما يزعمون - وهذا يشبه ما رأيناه في سفر الرؤى عند يوحنا في الباب الخاص بادعاء النصارى التلقي عن المسيح عليه السلام في الرؤى والأحلام .

٥ - الرؤى والأحلام :

يعتمد مشايخ الصوفية في أفكارهم ومعتقداتهم على الرؤى والأحلام

(١) فيما يتعلق بعقيدة التيجاني يمكن الرجوع إلى الملحق الخاص بفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ٢٣٠ / ٢ .

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه
حيث يدعون أنهم يرون النبي ﷺ والخضر يقظة لا مناماً ويأخذون
عنهما بعض الأوراد والوصايا..

وقد فند الحافظ ابن حجر هذا الزعم قائلاً: إن ابن أبي جمرة نقل
عن جماعة من الصوفية أنهم رأوا النبي ﷺ في المنام ثم رأوه بعد ذلك
في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدهم إلى طريق
تفريجها فجاء الأمر كذلك .

قال ابن حجر معقّباً على قول المتصوفة: هذا مشكل جداً ولو حمل
على ظاهره لكان هؤلاء صحابة، ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة،
ويعكر عليه أن جمعاً جمّاً رأوه في المنام ثم لم يذكر واحد منهم أنه
رآه في اليقظة وخبر الصادق لا يختلف ... اهـ. (١)

أما ادعاء التيجاني أنه أخذ الأوراد عن النبي ﷺ يقظة، فقد رد علماء
اللجنة الدائمة للإفتاء على ذلك بقولهم: « ما زعم أحمد التيجاني لنفسه
من رؤية النبي ﷺ يقظة وأنه أخذ عنه الطريقة التيجانية يقظة مشافهة،
وأنه عين له الأوراد التي يذكر الله فيها ويصلي على رسوله بها، لا شك
أن هذا من البهتان والضلال المبين » (٢) .

(١) فتح الباري ١٢ / ٣٨٥ .

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ٢ / ٣٢٥، ٣٢٦ .

ومن باب الأحلام والزعم بأنهم يرون النبي يقظة أو مناماً أدخل مشايخ الصوفية كثيراً من البدع في الدين ، وبخاصة في الأذكار وفضلها . ومن أمثلة ذلك زعم التيجاني بأن النبي ﷺ ظهر له يقظة وأعطاه ورداً يسمونه (صلاة الفاتح لما أغلق) وحثه على تبليغه للناس وبيان فضل كل ذاك لهذا الورد ونصه كالتالي : « اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم » وزعم التيجاني أن ما جاء في هذا الورد أفضل مما جاء في القرآن الكريم ... وأن التلفظ به مرة واحدة يعدل تلاوة القرآن الكريم ست مرات !!!

كما تزعم التيجانية بأن من يشكك في طريقتهم أو من يخرج منها لا يموت إلا كافراً : حيث قالوا : « أما من يشككون بالطريقة التيجانية أو يخرجون منها أو من ينقضون التيجانية فإنه يحل بهم البلاء ولا ينبغي لمتبعي الطريقة التيجانية أن يجالسوهم » فقد نسب هذا القول للتيجاني في كتاب جوهرة المعاني حيث ورد فيه ما يلي ^(١) : « قال التيجاني : من ترك ورده وأخذ وردنا وتمسك بطريقتنا هذه الأحمدية المحمدية

(١) انظر فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء الملحق الخاص بالتيجاني وسيرته وأفكاره ومعتقداته ٢/ ٢٣٠ .

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه
الإبراهيمية الحنيفية التيجانية فلا خوف عليه لا من الله ولا من رسوله،
ولا من شيخه أيًا كان، من الأحياء أو من الأموات. أما من أخذ وردنا
وتركه فإنه يحل به البلاء دنيا وأخرى، ولا يموت إلا كافرًا قطعاً وبذلك
أخبر عن سيد الوجود ﷺ قائلاً: «فقرأوك فقرائي، وتلاميذك تلاميذي
... قال لي سيد الوجود ﷺ يقظة لا مناماً: قل لأصحابك لا يجالسوا
المبغضين لك، فإن ذلك يؤذيني ... أهـ.

أفتى الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله بعدم جواز الانتماء
للطريقة التيجانية قائلاً:

« لا شك أنها طريقة مبتدعة، ولا يجوز لأهل الإسلام أن يتبعوا
الطرق المبتدعة، لا التيجانية ولا غيرها ... وصلاة الفاتح لما أغلق هي
الصلاة على النبي ﷺ كما ذكروا، لكن صيغة لفظها لم ترو عن النبي
ﷺ حيث قالوا: «اللهم صلّ وسلم على سيدنا ونبينا محمد الفاتح لما
أغلق، والخاتم لما سبق، والناصر الحق بالحق» وهذا اللفظ لم ترد به
الأحاديث الصحيحة التي يبين فيها النبي ﷺ صفة الصلاة عليه لما
سأله الصحابة عن ذلك، فالمشروع للأمة الإسلامية أن يصلوا عليه ﷺ
بالصيغة التي شرعها لهم وعلمهم إياها دون ما أحدثوه. ومن ذلك ما
ثبت في الصحيحين عن كعب بن عجرة رضي الله عنه أن الصحابة رضي الله عنهم

قالوا : يا رسول الله أمرنا الله أن نصلي عليك فكيف نصلي عليك؟ فقال عليه الصلاة والسلام : «قولوا : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»^(١).

ومن الفتاوى الواردة في ذم الطرق الصوفية فتاوى الشيخ ابن باديس حيث قال : (قد أدى النبي ﷺ الرسالة ، وبلغ الأمانة ، وانقطع الوحي وانتهى التبليغ والتعليم ، وترك فينا ما إن تمسكنا بهما لن نضل أبدا كتاب الله وسنته ﷺ كما صح عنه ، هذا كله مجمع عليه عند المسلمين وقطعي في الدين ، فمن زعم أن محمداً مات وقد بقي شيء لم يعلمه للناس في حياته فقد أعظم على الله الفرية وقدح في تبليغ الرسالة ، وذلك كفر ، فمن اعتقد أن (صلاة الفاتح) علمها النبي ﷺ لصاحب الطريقة التيجانية دون غيره ، كان مقتضى اعتقاده هذا أنه مات ولم يبلغ وهذا كفر ، فإن زعم أنه علمه إياها في المنام فالإجماع على أنه لا يؤخذ شيء من الدين في المنام ، مع ما فيه من الكتم وعدم التبليغ المتقدم

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ٢ / ٢٢٨ ، انظر أيضاً: الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية : ٩٨ .

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د.عزبة علي طه

... ولا تثبت الأفضلية الشرعية إلا بدليل شرعي ، ومن ادعاها لشيء بدون دليل قد تجرأ على الله ، وقفأ ما ليس له به علم ، وقد أجمعت الأمة على تفضيل القرون المشهود لها بالخيرية من الصادق المصدوق ﷺ ، فاعتقاد أفضلية صاحب الطريقة التيجانية تزكية على الله بغير علم وخرق للإجماع ، موجب للتبديع والتضليل ، وعقيدة الحساب والجزاء على الأعمال قطعية الثبوت ، ضرورية العلم ، فمن اعتقد أنه يدخل الجنة بغير حساب فقد كفر . فالمندمج في الطريقة التيجانية على هذه العقائد ضال كافر ، والمندمج فيها عليه إثم من كثر سواد البدعة والضلال ... اهـ .

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية حول الطريقة التيجانية وغيرها من الطرق الصوفية ما يلي ^(١) : (وهذه الطريقة ومثيلاتها من طرق مبتدعة مخالفة للكتاب والسنة ولما كان عليه خير القرون ، فقد اقترح كل شيخ لهذه الطرق ورداً وحزباً وطريقة في العبادة يميز بها نفسه من غيره ، مخالفًا للشرع ، ومفرقًا للصف .

أورد صاحب الهدية الهادية إلى الطريقة التيجانية من أذكارهم المبتدعة ما يسمونه (جوهرة الكمال) وهو كالتالي : (اللهم صل وسلم

(١) فتاوى اللجنة الدائمة العلمية للبحوث والإفتاء ٢ / ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

على عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني ونور الأكوان ... صاحب الحق الرباني ، البرق الأسطح ، والأرياح المائلة لكل متعرض من البحور والأواني ، ونورك اللامع الذي ملأت به كونك ، الحائط بأمكنة المكاني ، اللهم صلّ وسلم على عين الحق التي تتجلى منها عروش الحقائق عين المعارف الأقوم إلى صراطك التام الأسقم ، اللهم صلّ على طلعة الحق بالحق ... إحاطة النور المطلسم صلى الله عليه وعلى آله ، صلاة تعرفنا به إياه .

ولقد قال صاحب الهدية الهادية عن هذا الذكر معلقاً^(١) : « إن هذه الصلاة التي زعم التيجانيون بأن شيخهم أخذها عن النبي ﷺ بعد أن رآه يقظة - كما يزعم - يستحيل أن تكون من كلام العرب الفصحاء وهي بعيدة منه بعد السماء من الأرض ، فكل من يعرف لسان العرب معرفة حقيقية لا يكاد يصدق أن ذلك الكلام الركيك يقوله أحد من العرب وفيه كلمتان إحداهما سب ولا يتناسب مع ما قبله وهي كلمة : الأسقم : فإن الصراط لا يوصف بالأسقم إذ لا يقال صراط مريض ... وإنما صراط مستقيم ... والثانية كلمة : المطلسم ، وهي كلمة عامية

(١) الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية : ١١٠ ، ١١١ .

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د.عزبة علي طه
مغربية ... وأنت إذا نظرت إلى كلمات هذا الدعاء، من أوله إلى آخره
وجدتها في غاية البعد عن الكلام الفصيح ولن تستبعد صدور الأسقم
والمطلسم من مؤلفيها وإذا ظهر السبب بطل العجب» .

ومن العجيب قول التيجانية إن هذا الذكر لا ينبغي أن ينطق به إلا بعد
طهارة مائة ، وعلى الذاكر أن يجلس له كجلسة التشهد مغمضاً عينيه،
بل الأعجب من ذلك أنهم يزعمون أن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين
يحضرون عند كل من يذكر هذا الدعاء أو الذكر أينما كان .

يقول صاحب الهدية الهادية : (وجوهرة الكمال صلاة لا تذكر إلا
بطهارة مائة ، وإنما اشترطت الطهارة المائة على ذاكرها بزعمهم؛ لأن
النبي ﷺ والخلفاء الراشدين يحضرون مجلس كل من يذكرها ، ولا
يزالون معه ما دام يذكرها ... ويجب ذكر الورد مرة في الصباح ومرة
في المساء بطهارة تامة كما يشترط في الصلاة ، ويكون الذاكر جالساً
كجلسة التشهد على الأفضل مغمضاً عينيه مستحضراً صورة الشيخ
أحمد التيجاني وهو - كما يزعمون - رجل أبيض مشرب بحمرة ذو
لحية بيضاء ، ويتصور - أي الذاكر للورد - في قلبه أن عموداً من النور
يخرج من قلب الشيخ ويدخل في قلب المريد).

وهناك ذكر آخر يكون يوم الجمعة متصلاً بغروب الشمس وهو : « لا

إله إلا الله ألف مرة ، والأفضل أن يكون هناك سماع ، قبله أو بعده ، وهو إنشاد شيء من الشعر بالغناء والترنم جماعة ، ثم يقولون جميعاً : الله حي ، والمنشد ينشدهم وهم قيام حتى يخلص إلى قول لفظ آه ، آه ، آه ويسمون هذه الحالة : العمارة ^(١) .

كما أن كتب الطريقة التيجانية تزعم بأنه لا ينبغي للمريد أن ينشغل عند هذا الذكر بشيء غيره حتى يصل إلى ملكوت السماوات وتكشف له الحجب فيشاهد العرش والفرش ولا يبقى شيء من المغيبات خافياً عليه !! وهم يستندون في هذه العبادة - بزعمهم - على أنها فعلت أمام التيجاني وبرضاه وإقراره !!

وهكذا يزعمون أن التيجاني هذا يقرهم على فعل الأشياء المتعلقة بالعبادة وغيرها كما كان رسول الله ﷺ يقر الصحابة على أمر من الأمور بسكوته واستحسانه أو عدم توبيخ أو تأنيب فاعله . ومن أمثلة السنة التقريرية الحديث الذي أخرجه أبو داود بسنده من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل ، فأشفقت أن أغتسل فأهلك ، فتيمنت ، ثم صليت بأصحابي الصبح فذكروا ذلك

(١) الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية : ١٠٨ ، ١١٠ .

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه

للنبي ﷺ فقال: «يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟» فأخبرته بالذي منعي من الاغتسال، وقلت إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٢٩) فضحك النبي ﷺ ولم يقل شيئاً^(١).
 أما زعمهم أن المرید یصل إلى مرحلة كشف الغيب فهو قول باطل لا يتوافق مع القرآن والسنة قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (٦٥)^(٢).

وجاء في الحديث الصحيح من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه: عن النبي ﷺ أنه قال: «مفاتيح الغيب خمس: إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير»^(٣).

ومن أجل الترويج للطريقة التيجانية وزيادة أتباعها زعم مشايخ هذه الطريقة أن التيجاني رأى النبي ﷺ يقظة وأن بعض مريديه رأوه في المنام، زاعمين أنه لقنهم بعض الأقوال في فضل من يتمسك بالطريقة التيجانية وإثم من يحاربها أو يقف في طريقها منها:

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة، باب: إذا خاف الجنب البرديتيمم ٩٢/١.

(٢) سورة النمل: ٦٥.

(٣) أخرجه البخاري برقم ٤٦٢٧.

زعم صاحب الرماح : « أن التيجاني أخبر أن النبي ﷺ قال له : بعزة ربي يوم الاثنين والجمعة لم أفارقك فيهما، من الفجر إلى الغروب ، ومعى سبعة أملاك وكل من رآك في اليومين تكتب الملائكة في ورقة من ذهب فيكتبونه من أهل الجنة». (١)

ولقد شبه الشيخ عبد الرحمن دمشقية - زعم مشايخ الصوفية بزعم رهبان النصارى فقال: والصوفية ذكروا كلمات فيها ضمان الجنة لبعض مريديهم كما هو منقول عن الرفاعي والتيجاني وغيرهم فما أشبهها بصكوك الغفران عند النصارى .

كما زعم صاحب الرماح أن التيجاني تجرأ على رسول الله ﷺ واشترط عليه أن يجعله نجاة لكل عاص، فأقره النبي ﷺ على هذا الطلب . هذه القصة أوردها صاحب الهدية الهادية عن الرماح كما يلي : (قلت - التيجاني - للنبي ﷺ حين أعطاني الطريقة وأمرني أن ألقنها للناس .. إن كنت باباً للنجاة لكل عاص مسرف على نفسه متمسك بي فنعم وإلا فأني فضل لي ؟ فقال النبي ﷺ - بزعمه - أنت باب نجاة لكل عاص تعلق بك وحينئذ طابت نفسي لذلك) (٢).

(١) الرفاعية لعبد الرحمن دمشقية : ٢١، ٢٢.

(٢) الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية: ١٠٨-١١٠ (انظر أيضاً فتاوى اللجنة الدائمة

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه
كما زعم أحد المريدين من الصوفية أنه رأى في المنام خاتماً للأولياء،
وادعى أن الإجماع انعقد على أنه هو التيجاني . جاءت قصة رؤياه
المزعومة كما يلي : (إنه رأى في المنام حائطاً من ذهب وفضة كمل إلا
موضع لبنتين، إحداهما من ذهب والأخرى من فضة، فانطبع في موضع
تينك اللبنتين ففسرها بأنه خاتم الأولياء وهو التيجاني وقص رؤياه على
أولياء زمانه فوافقوه على تأويله وأنه هو - أي التيجاني - خاتم الأولياء،
فلم يشك أنه هو .

فمقام خاتم الأولياء - بزعمهم - يفوق جميع مقامات الولاية وأنه -
أي التيجاني - الواسطة بين الأنبياء والأولياء بإجماع أئمة المسلمين !!
وإذا ما تأملنا هذا الافتراء كما أورده . محمد تقي الدين الهلالي عن أحد
المريدين حيث يقول : (إن التيجاني هو خاتم الأولياء ، وسيد العارفين
وإمام الصديقين ، وممد الأقطاب والأغواث ، وإنه هو القطب المكتوم
والبرزخ المختوم الذي هو الواسطة بين الأنبياء والأولياء بحيث لا يتلقى
واحد من الأولياء ، من كبر شأنه ومن صغر فيضاً من حضرة نبي إلا
بواسطته من حيث لا يشعر بذلك الولي ، وحيث كان الأمر هكذا فيأياك

-أخي- الإنكار على مثل هذا السيد العظيم والإمام الأعظم الكريم. قد أجمع أئمة الإسلام وجميع الأولياء والعارفين على أن الاعتقاد ربح والإنكار خسران... فهو - يقصد التيجاني - يقول: إن الفيوض التي تفيض من سيد الوجود ﷺ تتلقاها ذوات الأنبياء، وكل ما فاض وبرز من ذوات الأنبياء تتلقاها ذاتي ومني يتفرق على جميع الخلائق منذ نشأة العالم إلى النفخ في الصور ويدخل في جميع الصحابة»^(١).

إن دعوى إجماع المسلمين أن التيجاني هو خاتم الأولياء، وأنه أفضل الخلق بعد الأنبياء دعوى باطلة؛ لأن الإجماع عند الفقهاء لا ينعقد إلا بعد الثبوت والتحري وهو إجماع الفقهاء والعلماء وليس إجماع الرعايا والدهماء. ولإثبات فساد ما يزعمه التيجانية دعنا نلقي الضوء - بإيجاز - على معنى الإجماع لغة واصطلاحاً ونبين شروط المجتهدين لدى الفقهاء: أولاً - الإجماع لغة^(٢): هو العزم على الشيء والتصميم عليه، يقال: أجمع فلان على الأمر: أي عزم عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾^(٣) أي اعزموا. ومنه قوله ﷺ: «من لم يجمع الصيام قبل

(١) الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية: ٢٤.

(٢) لسان العرب ٤ / ١٣٧.

(٣) سورة يونس: ٧١.

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه
الفجر فلا صيام له»^(١) وهو أيضاً الاتفاق: أجمع القوم على كذا، أي
اتفقوا عليه.

ثانياً - الإجماع اصطلاحاً: أي في اصطلاح الأصوليين: هو اتفاق
جميع المجتهدين من أمة محمد ﷺ بعد وفاته في عصر من العصور
على حكم شرعي .

ثالثاً - شروط المجتهد: والمجتهد كما يقول الغزالي: «هو كل
مجتهد مقبول الفتوى» وللمجتهد عند الفقهاء شروط ثلاثة وهي:

أ - العلم بالقرآن الكريم بأن يعرف معانيه، لغةً وشرعاً. ومن المعاني
الشرعية: العام والخاص والمطلق والمقيد والناسخ والمنسوخ.

ب - العلم بالسنة النبوية: وهو أن يعرف سندها ومتنها، أي علم
الحديث، دراية ورواية.

ج - العلم بمسائل الإجماع حتى لا يفتي بخلاف ما وقع عليه
الإجماع؛ لأن الإجماع حجة قطعية لا تجوز مخالفته .

كما أكد الفقهاء على أمور أخرى يجب أن يلم بها المجتهد وهي:
أ - أن يكون عالماً بعلم أصول الفقه، وأن يعرف قواعده وقضاياها؛

(١) أخرجه النسائي في كتاب الصيام، باب النية في الصيام ١٩٦/٤، ١٩٧.

لأن أهم العلوم للمجتهد هو علم أصول الفقه.

ب- أن يكون ملماً بعلوم اللغة التي يتوقف عليها فهم النصوص الشرعية إماماً تاماً كالنحو والصرف والمعاني والبيان وفقه اللغة .
أما العوام فلا ينبغي لهم الاجتهاد، ولا يعتبر دخولهم في الإجماع،
وينعقد بدونهم؛ لأن العوام ليسوا من أهل النظر في الأمور الشرعية ولا يفهمون الحجة.

وبناءً على ما ذكر آنفاً لا يعتبر إجماع مشايخ التيجانية بمثابة إجماع للأمة؛ لأنهم أصلاً ليسوا من أهل الاجتهاد ولا تتوفر فيهم أدنى شروطه.
أما مشايخ الطريقة الكتانية فهم ليسوا أحسن حالاً من مشايخ الطريقة التيجانية حيث قاموا هم أيضاً بإدخال البدع في الدين عن طريق الأحلام الشيطانية وارتكبوا كثيراً من الموبقات تحت الزعم بأنهم يقتدون في ذلك برسول الله ﷺ ، ويدلنا على ذلك قصة شاب كان تابعاً للطريقة الكتانية، مخلصاً ومطيعاً لشيخه، و متمسكاً بطريقته تمسكاً شديداً ولكنه خرج عليها حيث لم يعجبه ما يفعله شيخ الطريقة الكتانية من منكرات، وظل يبحث عن الحقيقة كما جاءت في الكتاب والسنة حتى اهتدى إليها على يدي عالم سني .

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه

والقصة أوردتها صاحب كتاب الهدية الهادية كما يلي^(١): «قال الشيخ السني للشاب: ما الذي دعاك إلى الخروج من طريقتك التي كنت مغتبطاً بها فقال له: إنه أمسى فشرب الخمر وزنى وترك صلاة العصر والمغرب والعشاء، فمر بالزاوية الكتانية وسمع المريدين يرقصون ويصيحون بأصوات عالية والمنشد ينشدهم، وكانت بقية سكر لا تزال مسيطرة عليه، فهم أن يدخل الزاوية ويرقص معهم، ولكنه أحجم عن ذلك؛ لأنه جنب، ولم يصل شيئاً من الصلوات في ذلك النهار، إلا أن سكره غلب على عقله فدخل الزاوية ووجد الشيخ في صدر الحلقة والمريدون يرقصون فاشتغل معهم في الرقص وكان أنشطهم، فلما فرغوا من رقصهم دعاه الشيخ وقبله في فمه وقال: رأيت النبي ﷺ في المنام قبلك فاقتردت به!! قال الشاب: فلما دعاني الشيخ خفت خوفاً شديداً وظننت أنه قد انكشف له حالي، وهو يريد أن يوبخني على ذنوبي، فلما فعل ما فعل وقال ما قال أيقنت أنه كاذب في كل ما يدعيه ويدعو إليه، وإلا فكيف يرضى عني النبي ﷺ ويقبلني في فمي مع تلك الكبائر التي ارتكبتها في ذلك اليوم؟ قال: فهذا سبب مجيئي إليك لأتوب إلى الله من الطرائق

(١) الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية : ١٦ .

كلها وأتبع طريقة الكتاب والسنة ... اهـ .

لقد أفتى كثير من علماء المسلمين الراسخين في العلم بضلال أفكار ومعتقدات وممارسات أصحاب الطرق الصوفية ، وأنهم أصحاب بدع في الدين لا يجوز الاقتداء بهم أو تصديقهم أو اتباعهم بأي حال من الأحوال ، لأن مصادرهم في التلقي لا تعتمد على الكتاب والسنة ، إنما تعتمد على الرؤى والأحلام والأوهام .

ومن ذلك فتوى الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ^(١) حيث قال :
(....) فالواجب على أهل الإسلام أن يسيروا على نهج محمد ﷺ وأن يستقيموا على سيرته ودينه فهذا هو الطريق السوي ، أما طرق الصوفية ففيها الشرك ، كعبادة بعض شيوخهم ، والاستعانة ببعض شيوخهم ، وكهجر بعضهم لعلوم السنة ، وقوله : حدثني قلبي عن ربي ، وعدم الاعتراف بالشرع الذي جاء به محمد ﷺ إلى غير هذا ، من بدعهم الكثيرة ، وكفعل بعض المريدين حيث يقول : عليك أن تسلم للشيخ حاله ومراده ، وألا تعترض عليه ، وأن تكون معه كالमित بين يدي الغاسل ، فهذه كلها طرق فاسدة ، وكلها ضالة).

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ٢ / ٢٢٦ .

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه

ويقول الشيخ محمد بن صالح العثيمين يرحمه الله ^(١) : (قال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ... كيف يكون كمال الدين وأنت تأتي بعده بجديد هذا فيه انتقاص لله عز وجل ... كما فيه انتقاص لرسول الله ﷺ وصحابته، من حيث إنهم كتموا الشريعة الإسلامية ... إن بدعهم هذه تتضمن القدح في: أ - الله عز وجل .

ب - رسول الله ﷺ .

ج - الصحابة رضوان الله عليهم ... أهـ .

ثالثاً - مدى صمود مصادر التلقي عند الصوفية أمام منهجية علماء

المصطلح في توثيق السنة:

ولكي يتضح للقارئ ما نحن بصده من بيان حال مشايخ الصوفية من حيث التعديل أو الجرح يمكن إعطاء نبذة مختصرة عن نشأة علم مصطلح الحديث وتطوره وأهميته ومنهجية تطبيقه على الأقوال التي قد تنسب إلى رسول الله ﷺ من بعض المبتدعة والكذابين ومدى فائدة هذا العلم في ضبط مثل أقوال هؤلاء المبتدعة وأفعالهم المخالفة لأسس

(١) فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٣٥٨/٧ ، ٣٥٩ .

الدين الإسلامي ومبادئه .

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم لا يسألون عن إسناد الأحاديث المنقولة عن رسول الله ﷺ ؛ لأن الصحابة عدول بتعديل الله ورسوله لهم، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٩﴾ (١).

وقال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » (٢).

ولكن لما وقعت الفتنة بمقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه بدأ الصحابة يتثبتون في نقل الأخبار وقبولها ولا سيما إذا شكوا في صدق الناقل لها ، فظهر بناءً على هذا موضوع العناية بالإسناد وقيمته في قبول الأخبار أو ردها. ومما يدلنا على ذلك ما جاء في مقدمة صحيح مسلم عن ابن سيرين قال: لم يكونوا - أي الصحابة - يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا:

(١) سورة الحشر: ٩ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ١١ ، ٥٤ ، ٦٣ .

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه
سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل
البدع فلا يؤخذ حديثهم».

فهذه الفتنة وما تبعها من خلافات وحروب بين المسلمين أدت إلى
ظهور الفرق المتصارعة التي بدأت تضع الأحاديث وتنسبها للرسول
ﷺ زوراً وبهتاناً وذلك من أجل تقوية موقعها ونصرة قضاياها في
مواجهة الفرق الأخرى .

فأصبحت الأحاديث الموضوعية تتداول بين الناس مما أزعج بعض
الصحابة فصاروا يسألون عن السند .

وعلى الرغم من أن السنة النبوية الشريفة كانت تدون بين يدي النبي
ﷺ إلا أن هذا العمل كان محدوداً لقلّة من كان يعرف الكتابة في ذلك
العصر ، ولا اعتماد الصحابة رضوان الله عليهم على قوة حفظهم وعلى
توثيق بعضهم بعضاً ولمعرفتهم أنهم معدلون من الله ورسوله ﷺ
بحيث لا يجوز عليهم الكذب ، لهذا كانوا مطمئنين لمروياتهم لكنهم
كانوا في نفس الوقت يوصون غيرهم بألا يقولوا في أمور الدين بغير علم .
فقد أخرج ابن عبد البر أن عبد الله بن مسعود كان يقول ^(١) : يا أيها

(١) مقدمة صحيح مسلم بشرح النووي ١٥ / ١ .

الناس : من سئل عن علم يعلمه فليقل به ، ومن لم يكن عنده علم فليقل :
الله أعلم . فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم : الله أعلم ، إن الله قال لنبيه
ﷺ : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ .

وعن ابن سيرين قال : « لم يكن أحد بعد النبي ﷺ أهيب لما لا يعلم
من أبي بكر ﷺ ، وأن أبا بكر نزلت به قضية فلم يجد في كتاب الله منها
أصلاً ولا في السنة أثراً فاجتهد رأيته ثم قال : هذا رأيي فإن يكن صواباً
فمن الله وإن يكن خطأ فمني وأستغفر الله » .

ولكن بمرور الوقت كثر الكذب على رسول الله ﷺ ، فلما رأى الخليفة
عمر بن عبد العزيز ذلك أرسل إلى عماله بأن يجمعوا حديث رسول الله
ﷺ وأن يكلفوا العلماء أمثال الإمام الزهري بجمع أحاديث رسول الله
ﷺ وكتابتها ، فدون هؤلاء العلماء السنة . وبما أن الأخبار صارت لا
تقبل إلا بعد معرفة سندها ، فقد ظهر علم الجرح والتعديل والكلام على
الرواة ، ومعرفة المتصل من المنقطع من الأسانيد ومعرفة العلل الخفية
وظهر الكلام في بعض الرواة ولكنه كان قليلاً لقلّة الرواة المجروحين في
ذلك الوقت ، ثم توسع العلماء في ذلك حتى ظهرت علوم كثيرة تتعلق
بالحديث من ناحية ضبطه وكيفية تحمله وأدائه ، ومعرفة ناسخه من
منسوخه ومعرفة غريبه ، ثم تطور الأمر وصارت هذه الأحاديث تكتب

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د.عزبة علي طه
وتسجل ممزوجة بغيرها من العلوم : كعلم الفقه، والأصول والتفسير
وغيرها. وأخيراً استقر علم المصطلح في القرن الرابع الهجري في
مصنفات مستقلة وكان أول من أفرد ذلك بالتصنيف القاضي أبو محمد
الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي في مصنفه: (المحدث الفاصل بين
الراوي والواعي)، ثم تبعه كثير من المحدثين بإعداد مصنفات كثيرة
عنيت بتنقيح الحديث على أسس منهجية منضبطة للغاية، وقد وضعوا
شروطاً لصحة الحديث بحيث لو اختل شرط من هذه الشروط ينزل
الحديث من رتبة الصحيح لذاته إلى مرتبة الحسن لذاته. ومثال هذا
الشرط أن يخف ضبط الراوي لدرجة محدودة لا تبعد به كثيراً عن درجة
التوثيق الكامل، أما إذا فقد الحديث شرطاً أو أكثر من شروط القبول
يصير الحديث ضعيفاً، ويتفاوت ضعف الحديث بحسب شدة ضعف
رواته، فمنه الضعيف، ومنه الضعيف جداً، ومنه الواهي، أي المنكر
والمتروك، وشر أنواعه الحديث الموضوع، ويحكم علماء المصطلح
على حديث بأنه صحيح لغيره إذا كان حسناً لذاته وتقوى بسند مثله أو
أقوى منه فيرتفع عن درجة الحديث الحسن لذاته إلى درجة الحديث
الصحيح لغيره، ويكون بذلك في درجة الصحة دون الصحيح لذاته وفوق

الحسن لذاته، وإذا لم يكن ضعف الحديث شديداً وتقوى بحديث مثله أو أقوى منه يرتفع إلى درجة الحديث الحسن لغيره أي يكون في مرتبة أدنى من الحديث الحسن، وكل يعمل به شرعاً ما لم يكن بينهما تعارض فإن وجد تعارض يكون التفاضل حسب درجة الحديث من الصحة. ولقد أصل العلماء شروطاً ومناهج منضبطة لتنقيح السنة وتوثيقها تبين مدى صحة الحديث أو مدى ضعفه، يمكن تلخيصها فيما يلي :

١ - شروط صحة المتن :

أ - اتصال السند : أي أن كل راوٍ من رواة الحديث قد أخذه مباشرة عن فوه من أول السند إلى منتهاه، سواء كان مرفوعاً^(١) إلى رسول الله ﷺ، أو موقوفاً على الصحابة رضي الله عنهم ، أو مقطوعاً أي منسوباً إلى التابعي، فإذا حدث أي انقطاع في سند الحديث يفقد الحديث شرط الصحة.

ب - عدالة الرواة : والعدالة عند علماء التعديل والجرح ملكة تحمل صاحبها على التقوى واجتناب الأدناس وما يخل بالمروءة .

وما يقابل العدالة في اصطلاح المحدثين الجرح فالراوي المجروح

(١) هو ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة (انظر علوم الحديث: ٤٥،

انظر أيضاً تيسير مصطلح الحديث : ٤٤، ٤٥ .

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه
هو : من لم تتحقق فيه شروط العدالة : كالكافر ، والصغير (على خلاف
في ذلك) ، والمجنون ، والفاسق ، ومخروم المروءة والمجهول عينه^(١)
وحاله^(٢) والمبهم^(٣) ، والمبتدع ، والمتهم بالكذب ، والكذاب .

ج- ضبط الرواة : والضبط عند علماء التعديل والجرح صفة تؤهل
الراوي لأن يروي الحديث كما سمعه ، ويعرف ضبط الراوي بموافقة
الثقات المتقنين في الرواية .

والخلل في الضبط غالباً ما يكون سببه : أن يتفرد راو ضعيف بمتن
بعينه ، أو راو ضعيف يروي الأحاديث بأسانيد مختلفة ومتون مضطربة ،
أو راو ضعيف يخالف الأقوى منه ، أو أن يدرج الراوي في سند الحديث
أو متنه ما ليس منهما ، أو يروي الحديث شخص مختلط ، أو يقلب في
المتن أو السند .

(١) مجهول العين : هو من ذكر اسمه ولم يرو عنه إلا راو واحد (انظر تيسير مصطلح
الحديث : ١٤٩) .

(٢) مجهول الحال : هو من روى عنه اثنان فأكثر ولم يوثق (انظر تيسير مصطلح الحديث :
١٤٩) .

(٣) المبهم : هو الراوي الذي لم يصرح باسمه في سلسلة السند (انظر تيسير مصطلح
الحديث : ١٤٩) .

د - عدم الشذوذ : وهو أن يخالف الثقة من هو أوثق منه، أو ما رواه المقبول مخالفًا لمن هو أولى منه . وهذا هو التعريف ^(١) الذي رجحه الحافظ ابن حجر . ويقابل الحديث الشاذ الحديث المحفوظ الذي خالفه الثقة . إن الحديث الشاذ حديث مردود، أما الحديث المحفوظ فهو حديث صحيح ومقبول .

هـ - عدم العلة : إن كان سبب الطعن في الراوي هو الوهم فحديثه يسمى : المعلل والحديث المعلل في اصطلاح المحدثين هو : الحديث الذي اطلع فيه على علة تقدح في صحته مع أن الظاهر السلامة منها . ولكي يحكم المحدثون على الحديث بأن به علة يجب أن يتوفر في العلة شرطان وهما : الغموض والخفاء ، والقدح في صحة الحديث .

و - المعاصرة : وهذا شرط كل من البخاري ومسلم وهو أن يعيش كل من الراوي والمروي عنه - أي شيخه - في عصر واحد .

ز - اللقيا : وهو شرط البخاري زاده على الشروط الست السابقة ومعناه أن يثبت لقاء الراوي والمروي عنه - أي شيخه - في مكان واحد .

شروط صحة السند من حيث عدالة الرواة :

(١) انظر نخبة الفكر مع شرحها : ٣٧ .

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه

أما فيما يختص بشروط تعديل أو جرح^(١) الرواة فيمكن تلخيصها فيما يلي :

١ - مراتب التعديل وبعض ألفاظها :

أ - ما دل على المبالغة في التوثيق أو كان على وزن أفعل وهي أرفعها مثل : فلان إليه المنتهى في الثبوت ، أو فلان أثبت الناس .

ب - ما تأكد بصفة أو صفتين من صفات التوثيق كثقة ثقة ، أو ثبت ثقة .

ج - ما عبر عنه بصفة دالة على التوثيق من غير تأكيد كثقة ، أو حجة .

د - ما دل على التعديل دون إشعار بالضبط ، كصدوق ، أو محله الصدق ،

أو لا بأس به عند غير ابن معين ، لأنه لو قال : لا بأس به يقصد أنه ثقة .

هـ - ما ليس فيه دلالة على التوثيق أو التجريح مثل : فلان شيخ أو

روى عنه الناس .

و - ما أشعر بالقرب من التجريح مثل : فلان صالح الحديث .

أما فيما يتصل بتدرج مراتب التعديل من حيث الحكم فإن المراتب

الثلاث الأولى (أ) و (ب) و (ج) يحتج بأهلها وإن كان بعضهم أقوى

من بعض . أما المرتبة الرابعة (د) والخامسة (هـ) فلا يحتج بأهلها ،

(١) تيسير مصطلح الحديث : ١٨٢ - ١٩١ .

ولكن يكتب حديثهم ويختبر: أي يختبر ضبطهم بعرض حديثهم على أحاديث الثقات الضابطين، فإن وافقهم احتج بحديثه وإلا فلا، وأهل المرتبة الخامسة في ذلك دون أهل المرتبة الرابعة. أما المرتبة السادسة (و) فلا يحتج بأهلها ولكن يكتب حديثهم للاعتبار دون الاختبار وذلك لظهور أمرهم في عدم الضبط.

٢- مراتب الجرح وبعض ألفاظها:

أ- ما دل على التلين (وهي أسهلها في الجرح) مثل فلان لين الحديث أو فيه مقال.

ب- ما صرح بعدم الاحتجاج به وشبهه مثل: فلان لا يحتج به، أو ضعيف، أو له مناكير.

ج- ما صرح بعدم كتابة حديثه ونحوه مثل: فلان لا يكتب حديثه، أو لا تحل الرواية عنه، أو ضعيف، أو واه بمرة.

د- ما فيه اتهام بالكذب ونحوه مثل: فلان متهم بالكذب، أو متهم بالوضع، أو يسرق الحديث، أو ساقط، أو متروك.

هـ- ما دل على وصفه بالكذب مثل: كذاب أو دجال، أو وضاع، أو يكذب أو يضع الحديث.

و- ما دل على المبالغة في الكذب وهي أسوأها مثل: فلان أكذب

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه
الناس، أو إليه الممتهى في الكذب ، أو هو ركن الكذب .

أما فيما يتصل بتدرج مراتب الجرح من حيث الحكم فهي كالتالي:
أهل المرتبة الأولى (أ) والثانية (ب) لا يحتج بحديثهم ولكن يكتب
للاعتبار^(١) وإن كان أهل المرتبة الثانية دون أهل المرتبة الأولى. أما أهل
المراتب الأربع الأخيرة (ج) و (د) و (هـ) و (و) فلا يحتج بحديثهم
أبداً ولا يكتب ولا يعتبر ولا يعد حديثاً نبوياً أصلاً .

إن مشايخ الصوفية قد ادعوا أنهم قد تلقوا أفكارهم ومعتقداتهم
وأذكارهم وأورادهم عن النبي ﷺ يقظةً أو مناماً، محاولين بذلك أن
يدرجوا ادعاءاتهم الباطلة في سنة النبي ﷺ باعتبارها أحاديث صحيحة
- بزعمهم - مروية عن النبي ﷺ عنهم أو عن شيوخهم ، ولكن إذا
قمنا بتطبيق شروط صحة الحديث المذكورة آنفاً كما أوردها علماء
المصطلح على معتقدات وممارسات وأفكار وأذكار مشايخ الطرق
الصوفية بجانب تطبيق ضوابط التعديل والجرح على مشايخهم نجد أن
شروط صحة الحديث لا تنطبق على ادعاءاتهم الواردة في البحث .

(١) الاعتبار : مصدر اعتبر ومعناه النظر في أمور ليعرف بها شيء آخر من جنسها ، وفي
اصطلاح المحدثين : هو تتبع طرق حديث انفرد بروايته راو واحد ليعرف هل شاركه في
روايته غيره وعن طريق الاعتبار يعرف إن كان للحديث شاهد أو متابع .

وإذا قمنا بتطبيق ذلك على الكشوفات أي الأخذ عن النبي ﷺ يقظة أو مناماً ، والأخذ عن الخضر عليه السلام ، والإلهام ، والهواتف ، والأدعية والأذكار ، والمدائح التي يترنمون بها ويتراقصون على أنغامها نجد أن شروط صحة الحديث لا تنطبق على أقوالهم وأفعالهم فمن حيث شرط اتصال السند : نجد أن أحاديثهم ليس لها إسناد قائم ، إذ لا توجد سلسلة رواة تربطهم بالنبي ﷺ ولا صحابته ولا تابعيهم .

أما من حيث شرط عدالة الرواة فإن مشايخ الصوفية لا تعرف لهم عدالة ، حيث لم يعدلهم أحد من علماء التعديل ، وهم من المجروحين ؛ لأنهم ليسوا سالمين من الفسق وخوارم المروءة والكذب وسوء الأدب مع رسول الله ﷺ .

ومن حيث شرط ضبط الرواة فإنهم لا يتمتعون بالضبط والإتقان ؛ لأن أحاديثهم متعارضة مع القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة ؛ لذا لا يقبل حديثهم ولا يأبه علماء المصطلح بشيء من مروياتهم .

أما من ناحية الشذوذ فأحاديثهم كلها شاذة ومخالفة لما جاء في الكتاب والسنة كما أسلفنا ، ومن ناحية عدم العلة فأحاديثهم وممارساتهم مليئة بالعلل الظاهرة .

أما شرطاً المعاصرة واللقيا فلا تنطبقان على مشايخ الصوفية ؛ لأنهم

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د. عزية علي طه
لم يعاصروا النبي ﷺ ولا صحابته ولا تابعيهم .

وبناء على ما ذكر آنفاً تعتبر أقوال وأفعال وعقائد وممارسات مشايخ
الصوفية كلها بمثابة الأحاديث الموضوعة المكذوبة المنسوبة زوراً
وبهتاناً للنبي ﷺ؛ لأنها ليس لها اسناد قائم بجانب أنها مخالفة للكتاب
والسنة كما أن رواتها يقعون في أسوأ درجات التجريح .

الختمة

لقد تعمد بعض المبتدعة من أصحاب الطرق الصوفية تأويل بعض الأحاديث الصحيحة التي وردت عن رسول الله ﷺ وذلك تبعاً لأهوائهم الشخصية كحديث : «من رآني في المنام فقد رآني»، ولقد أخطأ هؤلاء المشايخ في تفسير هذا الحديث وحملوا النص ما لا يحتمل وجعلوا من ذلك مدخلاً للابتداع في الدين حيث زعموا بأن هذا الحديث يدل على إمكانية التلقي عن النبي ﷺ يقظةً أو مناماً وذلك بعد وفاته . وبناءً عليه أصبحوا يدعون رؤية النبي ﷺ يقظةً أو مناماً وتلقيهم عنه كثيراً من الأذكار والأوراد والصلوات وغير ذلك من التوجيهات الدينية فكان هذا السلوك من جانبهم مدخلاً للابتداع في الدين وتحريف عقيدة التوحيد الصافية، شأنهم في ذلك شأن من سبقهم من النصارى الذين حرفوا النصرانية وأدخلوا فيها ما ليس منها.

وإنه لمن الواضح أن الفرق الضالة من النصارى كانوا قد اتخذوا الرؤى والأحلام والهواتف مدخلاً للابتداع في الديانة النصرانية ، حيث أدخل يوحنا ومن قبله بولس في النصرانية عقيدة الثالوث أو الإله ذي الأقانيم الثلاثة : (الأب ، الابن ، الروح القدس).

كما أدخل يوحنا في إنجيله - مقتدياً ببولس - مبدأ صلب المسيح

اتخاذ الرؤى والأحلام مدخلاً للابتداع في الدين ————— د.عزبة علي طه
عليه السلام وقيامه من الموت مرة أخرى لفداء البشرية من خطيئة آدم
عليه السلام - كما يزعمون - وبذا تحولت الديانة النصرانية من ديانة
التوحيد كما جاء بها المسيح عليه السلام إلى ديانة موعلة في الضلال
والشركيات ، وكل هذا اعتماداً من جانب كتاب الأناجيل على الهواتف
والرؤى والأحلام.

لم يتعظ مشايخ الطرق الصوفية بما حل بالديانة النصرانية من تشويه
وتحريف وتبديل وبدع اعتماداً من جانب النصارى على الرؤى والأحلام
والهواتف كمصادر للتشريع فقام مشايخ الصوفية بتبني نفس الأساليب
الفاسدة وجعلوا من الرؤى والأحلام والهواتف وغيرها مصدراً من
مصادر التشريع لديهم ولم يرتدعوا بالأحاديث الصحيحة الواردة عن
النبي ﷺ في التحذير من الكذب عليه ومن الابتداع في الدين بأي صورة
من الصور.

وهذه الممارسات التي ابتدعتها مشايخ الطرق الصوفية قد أفسدت
عقائد كثير من العوام ممن اتبعوهم وساروا خلفهم ، وأدت كذلك إلى
انغماسهم هم وأتباعهم في الضلالات والبدع المحدثه في الدين .

إن عقائد وممارسات وأفكار وأذكار مشايخ الصوفية وأساليبهم
في التلقي المزعوم عن النبي ﷺ لا تصمد لأي منهجية علمية معتبرة

كما اتضح ذلك لنا عند تطبيق شروط صحة الحديث النبوي الشريف على تلك البدع ، حيث اتضح لنا أنها جميعاً تقع تحت دائرة الحديث الموضوع المكذوب المنسوب إلى رسول الله ﷺ زوراً وبهتاناً .

إن ضوابط التعديل وشروطه لا تنطبق على مشايخهم ، بل تنطبق عليهم ضوابط الجرح وشروطه حيث يقعون في الدرك الأسفل من مراتب الجرح وهي مرتبة قول المحدثين: هو ركن الكذب أو إليه المنتهى في الكذب .

وعليه فإن عقائد الصوفية وممارساتهم وأفكارهم وأذكارهم المبتدعة مبنية على آثار ساقطة ومكذوبة على النبي ﷺ ، ولهذا فلا يجوز الاعتقاد في صحتها والعمل بمقتضاها ، أو روايتها ، أو الترويج لها أو الدفاع عن أصحابها بأي حال من الأحوال .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .